شرح منظومة في علامات صحة القلب

للعلامة سليمان بن سحمان

رحمه الله (١٢٦٦-١٣٤٩هـ)

للشيخ

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

اعتنى بها وعلق عليها

أبو عبد العزيز منير الظراري

دار الفرقان

للنشر والتوزيع

شرح منظومة في علامات صحة القلب

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٩ – ٢٠١٨

دار الفرقان للنشر والتوزيع -٢٠١٨/١٤٣٩

ردمك : ٦-٤٣-٦١٦-٩٩٣١-٩٧٨

الإيداع القانوني: السداسي الثاني، ٢٠١٨

Dar Al-furquan Edition. 2016

ISBN: 978-9931-616-43-6

Dépôt Légal: 2eme semestre. 2018

ISBN 978-9931-616-43-6

9 789931 616436

دار الفرقان للنشر والتوزيع

٢٠ شارع أحمد حسينة – باب الوادي – الجزائر (العاصمة)

جوال: ٠٠ ٢١٣ (٠) ٥٥٦٩٦٥٨١٠

dar.alfurquan@gmail.com

شرح منظومة في علامات صحة القلب

للعلامة سليمان بن سحمان

رحمه الله (١٢٦٦-١٣٤٩هـ)

للشيخ

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

اعتنى بها وعلق عليها

أبو عبد العزيز منير الجزائري

دار الفرقان للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المعتني

الحمد لله تعالى المتفضِّل بالنَّعماء، المنزَّه عن الأنداد والشركاء، والصَّلاة والسَّلام على النَّبي قدوة الأتقياء، وعلى آله وصحبه أصدق أولياء؛ وبعد:

فإنَّ «أشرف ما في الإنسان قلبه، فإنَّه العالم بالله، العامل له، السَّاعي إليه.. وإنَّما الجوارح أتباع وخدَّام له يستخدمها القلب استخدام الملوك للعبيد.. وأكثر النَّاس جاهلون بقلوبهم ونفوسهم، والله يحول بين المرء وقلبه، وحيلولته أن يمنعه من معرفته ومراقبته، فمعرفة القلب وصفاته أصل الدِّين، وأساس طريق السَّالكين»[(١)].

وأصل استقامة العبد استقامة قلبه، فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ»[(٢)].

قال الإمام ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمراد باستقامة إيمانه: استقامةُ

(١) «مختصر منهاج القاصدين» (١٩٣).

(٢) رواه أحمد (١٣٠٤٨)، وحسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٨٤١).

أعمال جوارحه؛ فإنَّ أعمالَ الجوارحِ لا تستقيمُ إلا باستقامة القلب، ومعنى استقامة القلب: أنْ يكونَ ممتلئًا مِنْ محبَّةِ الله، ومحبَّة طاعته، وكراهة معصيته»[١].

وقد بيَّن النبيُّ ﷺ أهميَّة هذه المضغة؛ فعن النُّعْمَان بْنِ بَشِيرٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «أَلاَ وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ»[٢].

وصحَّة القلب وسلامته هو أساس الفلاح في الدُّنيا والآخرة؛ قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩].

«فهذا الَّذي ينفعه عندك (أي: عند الله)، وهذا الَّذي ينجو به من العقاب، ويستحق جزيل الثواب.

والقلب السَّليم معناه الَّذي سلم مِنَ الشِّرك والشكِّ ومحبَّة الشرِّ والإصرار على البدعة والذُّنوب، ويلزم من سلامته ممَّا ذكر اتِّصافه بأضدادها من الإخلاص والعلم واليقين ومحبَّة الخير وتزيينه في قلبه، وأن تكون إرادته ومحبَّته تابعة لمحبَّة الله، وهواه تابعا لما جاء عن

---

(١) «جامع العلوم والحكم» (ص٧٥).

(٢) رواه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

الله»[١].

وسلامة القلب وصحَّته من أوصاف الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، فلمَّا ذكر الله تعالى نبيَّه إبراهيم عليه السلام وصفه بقوله: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾﴾ [الصافات: ٨٣ - ٨٤].

وكان من دعاء نبيِّنا محمَّدٍ ﷺ: «وَأَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا»[٢].

ولصحَّة القلب علامات ذكرها أهل العلم؛ بها يميِّز المسلم صحَّة قلبه من مرضه، وبين يديك منظومة رائعة نافعة في ذلك لأحد الأئمة الأعلام وهو حسَّان السنَّة سليمان بن سحمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وَمِمَّا زاد هذه المنظومة نفعًا - بإذن الله - شرح شيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله لها[٣].

ومِنْ باب التَّعاون على نشر العلم النَّافع، والسَّعي في تعميمه للحاجة الماسَّة إليه، قُمْت بالاعتناءِ بهذه الرِّسالة؛ فاستأذنْتُه حفظه الله في إخراجها في كُتَيِّب، فما كان مِنَ الشَّيخ حفظه الله إلَّا الموافقة

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص٥٩٣).

(٢) رواه النسائي (١٣٠٤)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٣٢٢٨).

(٣) وأصل هذا الشرح دروس ألقاها شيخنا بمسجد سبيكة الأنصاري بمدينة عيسى بدولة البحرين في ٢٤ جمادى الأولى ١٤٣٤هـ.

والتَّشجيع، فجزاه الله خيرًا[١].

ومَا كَانَ مِنِّي إِلَّا التَّهذيب و التَّرتيب، والتَّوثيق والتَّدقيق، بَلْ حَاوَلْتُ المُحَافَظَة على كلام الشَّيخ بِحُرُوفِه في شرحه إِلَّا مَا يَقْتَضِيه المَقَامُ مِنْ إِضَافَة مَا يُربط به الكَلَام لِتَمَامِ المَعْنى أو حذف المكرر مع التَّعليق على بعض المواضع منها.

سائلًا الله ﷻ أنْ يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأنْ يجزي خير الجزاء كل من أسهم في إخراجه للمنتفعين، إنه سميع مجيب الدعاء.

وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مُحِبُّكُم فِي الله
أبو عبد العزيز منير الجزائري
abou-abdelaziz@hotmail.fr

(١) كان ذلك في بيته بالمدينة النَّبويَّة، يوم الأربعاء ٢ ربيع الآخر ١٤٣٩هـ، الموافق لـ ٢٠/ ١٢/ ٢٠١٧م.

مقدمة الشارح

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

فهذا شرح مبسط لمنظومة نافعة، ومفيدة في باب إصلاح القلوب وتزكيتها، والعمل على تنقيتها وسلامتها، وبيان العلامات التي تدل على صلاح القلب واستقامته، مع ذكر لمشاهد عظيمة ينبغي للعبد أن يشهدها ليزكو قلبه بشهودها، ثم من بعد ذلك بسطٌ لمعتقد أهل السنة والجماعة الذي هو الأساس لزكاء القلوب وصلاحها؛ بل إن القلوب لا تزكو ولا تصلح ولا تكون سليمة إلا بالاعتقاد الصحيح المستمد من كتاب الله وسنة رسوله صلوات الله وسلامه عليه، قال الله ﷻ: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩]، قال العلماء: أي سليم من الشرك والشك؛ الشرك بالله، والشك في الاعتقاد ودين الله، مع السلامة أيضًا من الإصرار على البدع والمعاصي.

فالقلب السليم هو السالم من ذلك كله، وبذلك نعلم أن صلاح القلب بالعقيدة الصحيحة المستمدة من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ أساس لا بد منه في سلامة القلوب وصلاحها؛ إذ إن القلوب لا تصلح ولا تكون سليمة مستقيمة على الجادة وصراط الله المستقيم إلا إذا كانت على اعتقاد صحيح سليم مستمد من كتاب الله وسنة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه(١).

(١) قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان حقيقة القلب السليم:

«وقد اختلفت عبارات الناس في معنى القلب السليم والأمر الجامع لذلك: أنه الذي قد سلم من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه، ومن كل شبهة تعارض خبره، فسلم من عبودية ما سواه، وسلم من تحكيم غير رسوله ﷺ؛ فسلم في محبة الله مع تحكيمه لرسوله ﷺ في خوفه ورجائه والتوكل عليه والإنابة إليه والذل له وإيثار مرضاته في كل حال، والتباعد من سخطه بكل طريق، وهذا هو حقيقة العبودية التي لا تصلح إلا لله وحده.

فالقلب السليم: هو الذي سلم من أن يكون لغير الله فيه شرك بوجه ما؛ بل قد خلصت عبوديته لله تعالى: إرادة ومحبة وتوكلا وإنابة وإخباتا وخشية ورجاء، وخلص عمله لله: فإن أحب أحب في الله، وإن أبغض أبغض في الله، وإن أعطى أعطى لله، وإن منع منع لله، ولا يكفيه هذا حتى يسلم من الانقياد والتحكيم لكل من عدا رسوله ﷺ، فيعقد قلبه معه عقدا محكما على الائتمام والاقتداء به وحده دون كل أحد في الأقوال والأعمال من أقوال القلب وهي العقائد، وأقوال اللسان وهي الخبر عما في القلب، وأعمال القلب وهي الإرادة والمحبة والكراهة وتوابعها وأعمال الجوارح فيكون الحاكم عليه في ذلك كله دقه وجله هو ما جاء به الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فلا يتقدم بين يديه بعقيدة ولا قول ولا عمل كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: ١] أي لا تقولوا حتى يقول ولا تفعلوا حتى يأمر... » «إغاثة اللهفان» (١/ ٧)، وانظر كلام شيخ

ولهذا: أورد الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ في هذه المنظومة شيئًا من البسط والبيان لعقيدة أهل السنة والجماعة باعتبارها الأساس لصلاح القلوب وزكائها واستقامتها، ولما كانت هذه المنظومة للإمام ابن سحمان رَحِمَهُ اللَّهُ كان من المناسب بين يدي مذاكرتها ومدارستها التعريف بشيء من حياته وترجمته رَحِمَهُ اللَّهُ بشيء من الاختصار.

التعريف بصاحب المنظومة:

ناظم هذه المنظومة رَحِمَهُ اللَّهُ هو العلامة الشهير صاحب المصنفات الكبيرة والمؤلفات العديدة، وصاحب الفضائل المشهورة، والمحاسن المتعددة، المعروف بحَسّان زمانه، وشاعر عقيدة السلف الصالح في وقته، المجاهد بنثره ونظمه رَحِمَهُ اللَّهُ، والمنافح بجهده وبيانه عن عقيدة السلف – رحمهم الله – ألا وهو الشيخ سليمان بن سحمان بن مصلح بن حمدان الخثعمي العسيري النجدي الحنبلي.

مولده:

وهذا الإمام العلم ولد في قرية يقال لها: السقا، من قرى أبها، عام ألف ومائتين وست وستين من الهجرة النبوية (١٢٦٦هـ).

نشأته:

نشأ رَحِمَهُ اللَّهُ نشأة طيبة صالحة في بيت علم وتدين، فنشأ في أحضان

الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٢٢٣).

والده الشيخ سحمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكان والده رجلا فاضلًا من حفظة كتاب الله تبارك وتعالى وطلاب العلم، فاعتنى بابنه عناية طيبة، وأقرأه كتاب الله عَزَّوَجَلَّ حتى ختمه، ثم أخذ يلقنه مبادئ العلوم.

شيوخه:

في سنة ألف ومائتين وثمانين للهجرة (١٢٨٠هـ)، رحل والده سحمان من عسير إلى الرياض، وكان ذلك في زمن الإمامين: الشيخ عبد الرحمن بن حسن، حفيد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ صاحب كتاب: «فتح المجيد» و«قرة عيون الموحدين»، وابنه الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فابتدأ الشيخ سليمان في القراءة على الشيخين، ولازمهما ملازمة تامة، واستفاد منهما فائدة عظيمة.

ثم بعد ذلك انتقل مع والده الشيخ سحمان إلى بلدة من بلدان الأفلاج بنجد، وشرع في القراءة على الشيخ حمد بن عتيق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولازمه سبع عشرة عامًا.

مرضه:

وفي عام ألف وثلاثمائة وواحد وثلاثين (١٣٣١هـ) طرأ عليه العمى، وأصيب بذهاب البصر، فبعثه الملك عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ لعلاج عينيه إلى دولة البحرين سنة ألف وثلاثمائة واثنتين وثلاثين (١٣٣٢هـ)، ولم يُقدر له في تلك الرحلة الشفاء، فبقي مكفوف البصر

إلى أن توفاه الله تعالى، ولكنه عاد رَحِمَهُ اللَّهُ إلى التأليف والتحقيق والنظم والدفاع عن عقيدة أهل السنة والرد على رؤوس أهل الباطل، والذب عن حمى هذا الدين، وعاد إلى ذلك بنشاط، فكانت حاله في التأليف والنظم، والانتصار لعقيدة السلف قبل فقده لبصره وبعد فقده له على حد سواء في همة عالية ونشاط متواصل.

مؤلفاته:

وله رَحِمَهُ اللَّهُ مؤلفات كثيرة جدًا منها: «الضياء الشارق»، و«الهدية السُّنية»، و«تبرئة الشيخين»، و«منهج أهل الحق والاتباع»، و«إرشاد الطالب»، و«الصواعق المرسلة»، وله «ديوان» يجمع كثيرًا من شعره وهو مطبوع.

وفاته:

توفي رَحِمَهُ اللَّهُ في العاشر من شهر صفر سنة ألف وثلاثمائة وتسع وأربعين (١٣٤٩هـ) من الهجرة رَحِمَهُ اللَّهُ عن عمر ثلاث وثمانين سنة تقريبًا، غفر الله له، ورحمه، وأسكنه فردوسه الأعلى، وجزاه عنا وعن أمة الإسلام خير الجزاء[1].

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

(١) يراجع في ترجمته: «الدرر السنية» (١٦/ ٤٤٤)، «الأعلام» (٣/ ١٢٦)، «مشاهير علماء نجد وغيرهم» (ص١٩٩)، «معجم المؤلفين» (٤/ ٢٦٤).

منظومة في علامات صحة القلب[1]

قال العلامة محمد بن سحمان رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

أَمَّا بَعْدُ:

فَقَدْ اشْتَمَلَتْ هَذِهِ المَنْظُومَةُ عَلَى سِتَّةِ مَشَاهِد، ذَكَرَهَا العَلَّامَةُ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «إِغَاثَة اللَّهْفَان» فِي عَلَامَةِ صِحَّةِ القَلْبِ، وَخَتَمْتُ مَا ذَكَرَهُ الشَّيْخُ بِذِكْرِ مَا عَلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ مِنَ الاعْتِقَادِ.

١/ بِحَمْـــــدِ الله نَبْـــــدَأُ فِـــــي المَقَـــــالِ
وَذِكْـــــرِ الله فِـــــي كُـــــلِّ الفِعَـــــالِ

٢/ فَـــــذِكْرُ الله يَجْلُـــــو كُـــــلَّ هَـــــمٍّ
عَـــــنِ القَلْـــــبِ السَّـــــلِيمِ عَلَـــــى التَّـــــوَالِ

٣/ فَلِلْقَلْـــــبِ السَّـــــلِيمِ إِذَا تَزَكَّـــــى
عَلَامَـــــاتٌ هُنَالِـــــكَ لِلْكَمَـــــالِ

(١) «ديوان عقود الجواهر المنضدة الحسان شعر علامة الزمان الشهير سليمان بن سحمان»(ص٤٥٠).

٤/ عَلَامَـــاتٌ لِصِـــحَّةِ كُـــلِّ قَلْـــبٍ
سَـــلِيمٍ عَـــنْ مُدَاخَلَـــةِ الضَّـــلَالِ

٥/ عَلَامَـــاتٌ ذُكِـــرْنَ بِكُـــلِّ نَثْـــرٍ
عَـــنِ الأَعْـــلَامِ وَاضِـــحَةَ المَنَـــالِ

٦/ وَلَكِنِّـــي نَظَمْـــتُ لَهَـــا نِظَامًـــا
بِـــهِ أَرْجُـــو التَّنَـــافُسَ فِـــي الفَضَـــالِ

٧/ مَـــعَ الإِقْـــرَارِ بِالتَّقْصِـــيرِ فِيهَـــا
وَذِكْـــرٍ لِلْعَقِيـــدَةِ فِـــي المَقَـــالِ

٨/ عَلَامَـــةُ صِـــحَّةٍ لِلْقَلْـــبِ ذِكْـــرٌ
لِـــذِي العَـــرْشِ المُقَـــدَّسِ ذِي الجَـــلَالِ

٩/ وَخِدْمَـــةُ رَبِّنَـــا فِـــي كُـــلِّ حَـــالٍ
بِـــلَا عَجْـــزٍ هُنَالِـــكَ أَوْ مَـــلَالِ

١٠/ وَلَا يَـــأْنَسْ بِغَيْـــرِ اللهِ طُـــرًّا
سِـــوَى مَـــنْ قَـــدْ يَـــدُلُّ إِلَـــى المَعَـــالِ

١١/ وَيَـــذْكُرُ رَبَّـــهُ سِـــرًّا وَجَهْـــرًا
وَيُـــدْمِنُ ذِكْـــرَهُ فِـــي كُـــلِّ حَـــالِ

١٢/ وَمِنْهَـــا وَهْـــوَ ثَانِيهَـــا إِذَا مَـــا
يَفُـــوتُ الـــوِرْدُ يَوْمًـــا لِاشْـــتِغَالِ

١٣/ فَيَـــأْلَمُ لِلْفَـــوَاتِ أَشَـــدَّ مِمَّـــا
يَفُـــوتُ عَلَـــى الحَـــرِيصِ مِـــنَ الفَضَـــالِ

١٤/ وَمِنْهَـــا شُـــحُّهُ بِالوَقْـــتِ يَمْضِـــي
ضَـــيَاعًا كَالشَّـــحِيحِ بِبَـــذْلِ مَـــالِ

١٥/ وَأَيْضًـــا مِـــنْ عَلَامَتِـــهِ اهْتِمَـــامٌ
بِهَـــمٍّ وَاحِـــدٍ غَيْـــرِ انْتِحَـــالِ

١٦/ فَيَصْـــرِفَ همَّـــهُ للهِ صَـــرْفًا
وَيَتْـــرُكَ مَـــا سِـــوَاهُ مِـــنَ الهَـــوَالِ

١٧/ وَأَيْضـــًا مِـــنْ عَلَامَتِـــهِ إِذَا مَـــا
دَنَـــا وَقْـــتُ الصَّـــلَاةِ لِـــذِي الجَـــلَالِ

١٨/ وَأَحْـــرَمَ دَاخِـــلاً فِيهَـــا بِقَلْـــبٍ
مُنِيـــبٍ خَاضِـــعٍ فِـــي كُـــلِّ حَـــالِ

١٩/ تَنَـــاآى هَمُّـــهُ وَالغَـــمُّ عَنْـــهُ
بِـــدُنْيَا تَضْـــمَحِلُّ إِلَـــى زَوَالِ

٢٠/ وَوَافَـــى رَاحَـــةً وَسُـــرُورَ قَلْـــبٍ
وَقُـــرَّةَ عَيْنِـــهِ وَنَعِـــيمَ بَـــالِ

٢١/ وَيَشْـــتَدُّ الخُـــرُوجُ عَلَيْـــهِ فِيهَـــا
فَيَرْغَـــبُ جَاهِـــداً فِـــي الإِبْتِهَـــالِ

٢٢/ وَأَيْضـــــاً مِـــنْ عَلَامَتِـــهِ اهْتِمَـــامٌ
بِتَصْـــــحِيحِ المَقَالَـــــةِ وَالفِعَـــــالِ
٢٣/ وَأَعْمَـــــالٌ وَنِيَّـــــاتٌ وَقَصْـــــدٌ
عَلَـــى الإِخْـــلَاصِ يَحْـــرِصُ بِالكَمَـــالِ
٢٤/ أَشَـــدَّ تَحَرُّصـــاً وَأَشَـــدَّ هَمّـــاً
مِـــنَ الأَعْمَـــالِ ثَمَّـــةَ لَا يُبَـــالِ
٢٥/ بِتَفْـــرِيطِ المُقَصِّـــرِ ثَـــمَّ فِيهَـــا
وَإِفْـــرَاطٍ وَتَشْـــدِيدٍ لِغَـــالِ
٢٦/ وَتَصْـــحِيحُ النَّصِـــيحَةِ غَيْـــرُ غِـــشٍّ
يُمَـــازِجُ صَـــفْوَهَا يَوْمـــاً بِحَـــالِ
٢٧/ وَيَحْـــرِصُ فِـــي اتِّبَـــاعِ الـــنَّصِ جُهْـــداً
مَـــعَ الإِحْسَـــانِ فِـــي كُـــلِّ الفِعَـــالِ
٢٨/ وَلَا يُصْـــغِي لِغَيْـــرِ الـــنَّصِ طُـــرًّا
وَلَا يَعْبَـــا بِـــآرَاءِ الرِّجَـــالِ
٢٩/ فَسِـــتُّ مَشَـــاهِدِ لِلْقَلْـــبِ مِنْهَـــا
عَلَامَـــاتٌ عَـــنْ الـــدَّاءِ العُضَـــالِ
٣٠/ وَيَشْـــهَدُ مِنَّـــةَ الـــرَّحْمَنِ يَوْمًـــا
بِمَـــا أَسْـــدَى عَلَيْـــهِ مِـــنَ الفِضَـــالِ

٣١/ وَيَشْـــهَدُ مِنْـــهُ تَقْصِـــيرًا وَعَجْـــزًا
بِحَـــقِّ اللهِ فِـــي كُـــلِّ الخِـــلَالِ

٣٢/ فَقَلْـــبٌ لَـــيْسَ يَشْـــهَدُهَا سَـــقِيمٌ
وَمَنْكُـــوسٌ لِفِعْـــلِ الخَيْـــرِ قَـــالِ

٣٣/ فَـــإِنْ رُمْـــتَ النَّجَـــاةَ غَـــدًا وَتَرْجُـــو
نَعِيمًـــا لَا يَصِـــيرُ إِلَـــى زَوَالِ

٣٤/ نَعِـــيمٌ لَا يَبِيـــدُ وَلَـــيْسَ يَفْنَـــى
بِـــدَارِ الخُلْـــدِ فِـــي غُـــرَفٍ عَـــوَالِ

٣٥/ فَـــلَا تُشْـــرِكْ بِرَبِّـــكَ قَـــطُّ شَـــيْئًا
فَـــإِنَّ اللهَ جَـــلَّ عَـــنِ المِثَـــالِ

٣٦/ إِلَـــهٌ وَاحِـــدٌ أَحَـــدٌ عَظِـــيمٌ
عَلِـــيمٌ عَـــادِلٌ حَكَـــمُ الفِعَـــالِ

٣٧/ رَحِـــيمٌ بِالعِبَـــادِ إِذَا أَنَـــابُوا
وَتَـــابُوا مِـــنْ مُتَابَعَـــةِ الضَّـــلَالِ

٣٨/ شَـــدِيدُ الإِنْتِقَـــامِ بِمَـــنْ عَصَـــاهُ
وَيُصْـــلِيهِ الجَحِـــيمَ وَلَا يُبَـــالِ

٣٩/ فَبَـــادِرْ بِالَّـــذِي يَرْضَـــى لِتَحْظَـــى
بِخَيْـــرٍ فِـــي الحَيَـــاةِ وَفِـــي المَـــآلِ

٤٠/ وَلَازِمْ ذِكْـــرَهُ فِـــي كُـــلِّ وَقْـــتٍ
وَلَا تَـــرْكَنْ إِلَـــى قِيـــلٍ وَقَـــالِ

٤١/ وَأَهْـــلَ العِلْـــمِ جَالِسْـــهُمْ وَسَـــائِلْ
وَلَا يَـــذْهَبْ زَمَانُـــكَ فِـــي اغْتِفَـــالِ

٤٢/ وَأَحْسِـــنْ وَانْبَسِـــطْ وَارْفُـــقْ وَنَـــافِسْ
لِأَهْـــلِ الخَيْـــرِ فِـــي رُتَـــبِ المَعَـــالِ

٤٣/ فَحُسْـــنُ البِشْـــرِ مَنْـــدُوبٌ إِلَيْـــهِ
وَيَكْسُـــو أَهْلَـــهُ ثَـــوْبَ الجَمَـــالِ

٤٤/ وَأَحْبِـــبْ فِـــي الإِلَـــهِ وَعَـــادِ فِيـــهِ
وَأَبْغِـــضْ جَاهِـــداً فِيـــهِ وَوَالِ

٤٥/ وَأَهْـــلَ الشِّـــرْكِ بَـــايِنْهُمْ وَفَـــارِقْ
وَلَا تَـــرْكَنْ إِلَـــى أَهْـــلِ الضَّـــلَالِ

٤٦/ وَتَشْـــهَدُ قَاطِعًـــا مِـــنْ غَيْـــرِ شَـــكٍّ
بِـــأَنَّ اللهَ جَـــلَّ عَـــنِ المِثَـــالِ

٤٧/ عَـــلَا بِالـــذَّاتِ فَـــوْقَ العَـــرْشِ حَقًّـــا
بِـــلَا كَيْـــفٍ وَلَا تَأْوِيـــلِ غَـــالِ

٤٨/ عُلُـــوَّ القَـــدْرِ وَالقَهْـــرِ اللَّـــذَانِ
هُمَـــا للهِ مِـــنْ صِـــفَةِ الكَمَـــالِ

٤٩/ بِهَـــذَا جَاءَنَـــا فِـــي كُـــلِّ نَـــصٍّ
عَـــنِ المَعْصُـــومِ مِـــنْ صَـــحْبٍ وَآلِ

٥٠/ وَيَنْـــزِلُ رَبُّنَـــا فِـــي كُـــلِّ لَيْـــلٍ
إِلَـــى أَدْنَـــى السَّـــمَوَاتِ العَـــوَالِ

٥١/ لِثُلْـــثِ اللَّيْـــلِ يَنْـــزِلُ حِـــينَ يَبْقَـــى
بِـــلَا كَيْـــفٍ عَلَـــى مَـــرِّ اللَّيَـــالِ

٥٢/ يُنَـــادِي خَلْقَـــهُ هَـــلْ مِـــنْ مُنِيـــبٍ؟
وَهَـــلْ مِـــنْ تَائِـــبٍ فِـــي كُـــلِّ حَـــالِ؟

٥٣/ وَهَـــلْ مِـــنْ سَـــائِلٍ يَـــدْعُو بِقَلْـــبٍ
فَيُعْطَـــى سُـــؤْلَهُ عِنْـــدَ السُّـــؤَالِ؟

٥٤/ وَهَـــلْ مُسْـــتَغْفِرٌ مِمَّـــا جَنَـــاهُ
مِـــنَ الأَعْمَـــالِ أَوْ سُـــوءِ المَقَـــالِ؟

٥٥/ وَتَشْـــهَدُ أَنَّمَـــا القُـــرْآنُ حَقًّـــا
كَـــلَامُ اللهِ مِـــنْ غَيْـــرِ اعْـــتِلَالِ

٥٦/ وَلَا تَمْوِيـــهِ مُبْتَـــدِعٍ جَهُـــولٍ
بِخَلْـــقِ القَـــوْلِ عَـــنْ أَهْـــلِ الضَّـــلَالِ

٥٧/ وَآيَـــاتُ الصِّـــفَاتِ تَمُـــرُّ مَـــرًّا
كَمَـــا جَـــاءَتْ عَلَـــى وَجْـــهِ الكَمَـــالِ

٥٨/ وَرُؤْيَا المُؤْمِنِينَ لَهُ تَعَالَى
عَيَانًا فِي القِيَامَةِ ذِي الجَلَالِ

٥٩/ يُرَى كَالبَدْرِ أَوْكَالشَّمْسِ صَحْواً
بِلَا غَيْمٍ وَلَا وَهْمٍ خَيَالِ

٦٠/ وَمِيزَانُ الحِسَابِ كَذَاكَ حَقًّا
مَعَ الحَوْضِ المُطَهَّرِ كَالزُّلَالِ

٦١/ وَمِعْرَاجُ الرَّسُولِ إِلَيْهِ حَقٌّ
بِنَصٍّ وَارِدٍ لِلشَّكِ جَالِ

٦٢/ كَذَاكَ الجِسْرُ يُنْصَبُ لِلْبَرَايَا
عَلَى مَتْنِ السَّعِيرِ بِلَا مُحَالِ

٦٣/ فَنَاجٍ سَالِمٍ مِنْ كُلِّ شَرٍّ
وَهَاوٍ هَالِكٍ لِلنَّارِ صَالِ

٦٤/ وَتُؤْمِنُ بِالقَضَا خَيْرًا وَشَرًّا
وَبِالمَقْدُورِ فِي كُلِّ الفِعَالِ

٦٥/ وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ قَدْ أُعِدَّتْ
لِأَعْدَاءِ الرَّسُولِ ذَوِي الضَّلَالِ

٦٦/ بِحِكْمَةِ رَبِّنَا عَدْلا وَعِلْمًا
بِأَحْوَالِ الخَلَائِقِ فِي المَآلِ

٦٧/ وَأَنَّ الجَنَّـــــةَ الفِـــــرْدَوْسَ حَـــــقٌّ
أُعِـــــدَّتْ لِلْهُـــــدَاةِ أُولِـــــي المَعَـــــالِ

٦٨/ بِفَضْـــــلٍ مِنْـــــهُ إِحْسَـــــانًا وَجُـــــودًا
وَتَكْرِيمًـــــا لَهُـــــمْ بَعْـــــدَ الوِصَـــــالِ

٦٩/ وَكُـــلٌّ فِـــي المَقَـــابِرِ سَـــوْفَ يَلْقَـــى
بِـــــلَا شَـــــكٍّ هُنَالِـــــكَ لِلسُّـــــؤَالِ

٧٠/ نَكِيـــــرًا مُنْكَـــــرًا حَقًّـــــا بِهَـــــذَا
أَتَانَـــــا النَّقْـــــلُ عَـــــنْ صَـــــحْبٍ وَآلِ

٧١/ وَأَعْمَـــــالاً تُقَارِنُـــــهُ فَإِمَّـــــا
بِخَيْـــــرٍ قَارَنَـــــتْ أَوْ سُـــــوءِ حَـــــالِ

٧٢/ فَيَـــا فَـــرْداً بِـــلَا ثَـــانٍ أَجِرْنِـــي
وَثَبِّتْنِـــــي بِعِـــــزِّكَ ذَا الجَـــــلَالِ

٧٣/ وَعَـــامِلْنِي بِعَفْـــوِكَ وَاغْـــنِ قَلْبِـــي
بِفَضْـــلِكَ عَـــنْ حَرَامِـــكَ بِـــالحَلَالِ

٧٤/ وَنَـــقِّ القَلْـــبَ مِـــنْ دَرَنِ الخَطَايَـــا
وَرِشْـــنِي مِـــنْ فَوَاضِـــلِكَ الجِـــزَالِ

٧٥/ وَلَاطِـــفْ بِاللَّطَـــائِفِ وَالعنَايَـــا
ضَـــعِيفًا فِـــي جَنَابِـــكَ ذَا اتِّكَـــالِ

٧٦/ وَجِمِّلْنِـــــي بِعَافِيَـــــةٍ وَعَفْـــــوٍ
فَـــــإِنْ تَمْـــــنُنْ بِعَفْـــــوِكَ لَا أُبَـــــالِ

٧٧/ وَصَـــــلَّى اللهُ مَـــــا غَنَّـــــتْ بِأَيْـــــكٍ
عَلَـــى الأَغْصَـــانِ مِـــنْ طَلْـــحٍ وَضَـــالِ

٧٨/ تُنَـــادِي دَائِمـــاً تَـــدْعُو هَـــدِيلاً
حَمَامَـــاتٌ عَلَـــى فَـــنَنٍ عَـــوَالِ

٧٩/ عَلَـــى المَعْصُـــومِ أَفْضَـــلِ كُـــلِّ خَلْـــقٍ
وَأَزْكَـــى الخَلْـــقِ مَـــعْ صَـــحْبٍ وَآلِ

شرح المنظومة

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

[ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

أَمَّا بَعْدُ:

فَقَدْ اشْتَمَلَتْ هَذِهِ المَنْظُومَةُ عَلَى سِتَّةِ مَشَاهِد، ذَكَرَهَا العَلَّامَةُ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «إِغَاثَة اللَّهْفَان» فِي عَلَامَةِ صِحَّةِ القَلْبِ، وَخَتَمْتُ مَا ذَكَرَهُ الشَّيْخُ بِذِكْرِ مَا عَلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ مِنَ الاعْتِقَادِ].

الشَّرْحُ

بدأ رَحِمَهُ اللَّهُ بهذه المقدمة وهذا الاستهلال الذي أراد من خلاله أن يوضح مقصوده من هذه المنظومة، ويبين ما احتوت عليه، عبارة عن فوائد ثمينة وعظيمة وقف عليها رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب: «إغاثة اللهفان» للإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ، ولا سيما في (الفصل العاشر)[1] منه.

لأن كتاب «إغاثة اللهفان» مقسم على فصول، وفي الفصل العاشر تحدث رَحِمَهُ اللَّهُ عن علامات صحة القلب، وفي خاتمة ذكره لهذه العلامات

(١) عقده الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ بعنوان: (في علامات مرض القلب وصحته).

تحدث عن هذه المشاهد الستة التي أشار إليها الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

والمطلوب من العبد أن يشهدها ليتم له صلاح قلبه، وزكاء حاله، وتتم له أيضًا عبوديته لله سبحانه وتعالى، فلما وقف رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تلك الفوائد العظيمة التي هي علامات ذكرها الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحة القلب، وأتبعها بتلك المشاهد، نظمها العلامة ابن سحمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه المنظومة، ثم وُفق توفيقًا عظيمًا بأن ختم ذلك بعقيدة أهل السنة والجماعة، إشارة منه إلى أن صلاح القلب وسلامته واستقامته لا تكون إلا بكونه منطويًا على العقيدة الصحيحة المستمدة من كتاب الله وسنة نبيه صلوات الله وسلامه وبركاته عليه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾]: حمد الله في هذا الاستهلال مستشعرًا منة الله جَلَّ جَلَالُهُ بالهداية والتوفيق، فالهداية منّة إلهية، وهبة ربانية، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٨﴾ [الحجرات: ٧، ٨]، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ﴾ [النور: ٢١]، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وفي مستهل هذا الشرح نحمد الله جل في علاه الذي هدانا لهذا وما

كنا لنهتدي لهذا لولا أن هدانا الله، ونسأله ﷻ أن يرزقنا العلم النافع، وأن يزيدنا علمًا، وأن يجعل ما نتعلمه حجة لنا لا علينا، وأن يصلح لنا شأننا كله، وأن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين.

المَتنُ

بِحَمْـــــدِ الله نَبْـــــدَأُ فِـــــي المَقَـــــالِ
وَذِكْـــــرِ الله فِـــــي كُـــــلِّ الفِعَـــــالِ
فَـــــذِكْرُ الله يَجْلُـــــو كُـــــلَّ هَـــــمٍّ
عَـــنِ القَلْـــبِ السَّـــلِيمِ عَلَـــى التَّـــوَالِ

الشَّرْحُ

بدأ رَحِمَهُ اللَّهُ هذه المنظومة الماتعة النافعة بحمد الله، وحمد الله سبحانه وتعالى هو الثناء عليه مع حبه ﷻ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [بِحَمْدِ الله نَبْدَأُ فِي المَقَالِ]: أي نبدأ مقالنا هذا حامدين لله، شاكرين له، مثنين عليه، معترفين بمنّه وكرمه وتوفيقه وفضله سبحانه وتعالى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [وَذِكْرِ الله فِي كُلِّ الفِعَالِ]: أي كما أننا نبدأ المقال بحمد الله تأسيًا بكتاب الله، وتأسيًا بسنة رسول الله ﷺ، فإنا كذلك نبدأ بذكر الله في كل الفعال، ففي كل الفعال نعتني بذكر الله سبحانه وتعالى.

وفي هذا البيت جمع رَحِمَهُ اللَّهُ بين الحمد والذكر، وقد جُمع بينهما في

قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢﴾ [البقرة: ١٥٢]، جمع سبحانه و تعالى بين الحمد وبين الذكر، وهذان هما مبنى الدين الإسلامي؛ لأن مبنى دين الله تبارك وتعالى على قاعدتين:

الأولى: الذكر لله سبحانه وتعالى.

الثانية: الشكر له ﷻ.

ومن المشروع للمسلم أن يقول أدبار الصلوات ما أوصى به النَّبِيّ ﷺ معاذ بن جبل رضي الله عنه، فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَخَذَ بِيَدِهِ يَوْمًا وَقَالَ: يَا مُعَاذُ، وَاللهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ، أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ، لاَ تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ أَنْ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»[1]، فجمع بين هذين الأمرين: الذكر والشكر.

وذكر الله سبحانه وتعالى مستلزم لمعرفته ﷻ، وشكره متضمن لطاعته، قد قال تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗا﴾ [سبأ: ١٣]، والمعرفة والطاعة هما الغاية التي خلق الخلق لأجلها وأُوجدوا لتحقيقها؛ لأن الغاية التي خلق الله سبحانه وتعالى الخلق لأجلها، وأوجدهم لتحقيقها هي العلم والعمل، ولهذا قال العلماء –رحمهم الله تعالى–: التوحيد نوعان: توحيد علمي، وتوحيد عملي.

---

(١) رواه أبو داود (١٥٢٢)، و النسائي (١٣٠٣)، وصحَّحه الألباني في «صحيح أبي داود» (١٣٤٧).

وهذان التوحيدان هما الغاية من الخلق، دل على الأول قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢]، ودل على الثاني قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]، فالآية الأولى خَلَقَ للعلم، والثانية خَلَقَ للعبادة، فالتوحيد نوعان: علم وعمل، وهذا البيت الأول من هذه المنظومة جاء في استهلاله منتظمًا لهذين الأصلين العظيمين اللذين عليهما مبنى دين الله تبارك وتعالى.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبينًا فضيلة الذكر وعظيم شأنه وكبير فائدته.

فَـــذِكْرُ الله يَجْلُـــو كُـــلَّ هَـــمٍّ
عَـــنِ القَلْـــبِ السَّـــلِيمِ عَلَـــى التَّـــوَالِ

وهذه فائدة أشار إليها رَحِمَهُ ٱللَّهُ من جملة الفوائد التي تستفاد من الذكر، وهو أنه جلاء للقلب السليم: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩]، وهو السالم من الشرك ومن الشك ومن الإصرار على البدع والمعاصي، فذكر الله جلاء لهذا القلب، فيعمل عملًا مستمرًا على تنقيته وتزكيته، وإزالة ما يعلق به من أوساخ بين وقت وآخر، فذكر الله جَلَّ جَلَالُهُ المستمر جلاء للقلب، يجلو كل هم عن القلب، والقلب كما بين أهل العلم –رحمهم الله تعالى– يصدأ كما يصدأ الحديد وعموم المعادن، وجلاء ذلك ذكر الله سبحانه وتعالى، فإن الذكر

يجلو القلب ويجعله كالمرآة البيضاء النقية الصافية الناصعة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [يَجْلُو كُلَّ هَمٍّ]: يعني كل الأمور التي تعلق بالقلب، إنما يكون للقلب السليم الذي تعلق به بين وقت وآخر أشياء تحتاج إلى أن تبعد عنه، وأن ينقى منها وتكون تنقيته بذكر الله تعالى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [عَلَى التَّوَالِ]: هذا تنبيه على أهمية الاستمرار على ذكر الله سبحانه وتعالى؛ لأن القلوب لا تزال ترد عليها الواردات، وتدخل عليها الدواخل، فيحتاج العبد حاجة مستمرة متوالية متتالية لعملية التنقية للقلب، وتكون التنقية بالإكثار من ذكر الله سبحانه وتعالى في كل وقت وحين، وكان نبينا عليه الصلاة والسلام يذكر الله في كل أحيانه، أي قائمًا وقاعدًا وعلى جنب، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١].

عَنْ أم المؤمنين عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَذْكُرُ الله عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ»(١).

المَتْنُ

فَلِلْقَلْبِ السَّلِيمِ إِذَا تَزَكَّى
عَلَامَاتٌ هُنَالِكَ لِلْكَمَالِ

(١) رواه مسلم (٣٧٣).

عَلَامَـــاتٌ لِصِـــحَّةِ كُـــلِّ قَلْـــبِ
سَـــلِيمٍ عَـــنْ مُدَاخَلَـــةِ الضَّـــلَالِ
عَلَامَـــاتٌ ذُكِـــرْنَ بِكُـــلِّ نَثْـــرٍ
عَـــنِ الأَعْـــلَامِ وَاضِـــحَةَ المَنَـــالِ
وَلَكِنِّـــي نَظَمْـــتُ لَهَـــا نِظَامًـــا
بِـــهِ أَرْجُـــو التَّنَـــافُسَ فِـــي الفَضَـــالِ
مَـــعَ الإِقْـــرَارِ بِالتَّقْصِـــيرِ فِيهَـــا
وَذِكْـــرٍ لِلْعَقِيـــدَةِ فِـــي المَقَـــالِ

الشَّرْحُ

هذه الأبيات يذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيها أن القلب السليم إذا تزكى وكتب الله سبحانه وتعالى له الزكاة فإن لذلك علامات تدل على زكاء القلب ونقائه، وهذه العلامات إذا رآها العبد من نفسه، أو وجدها فإنه يستشعر نعمة الله سبحانه وتعالى عليه بالهداية والتوفيق لكنه لا يزكي نفسه ولا يجزم بصلاحها، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢]، لكنها علامات ودلائل على نقاء القلب وسلامته بإذن الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فَلِلْقَلْـــبِ السَّـــلِيمِ إِذَا تَزَكَّـــى
عَلَامَـــاتٌ هُنَالِـــكَ لِلْكَمَـــالِ

أي: أن السلامة إذا وجدت في القلب وتزكى، لها علامات ودلائل، وزكاء القلب يتناول أمرين:

الأول: طهارة القلب من الأوساخ والأدناس.

الثاني: نماء القلب بتزايد الخير فيه، وفي الدعاء المأثور: «اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا؛ أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلاَهَا»[1].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ:

عَلَامَـــاتٌ لِصِـــحَّةِ كُـــلِّ قَلْـــبٍ
سَـــلِيمٍ عَـــنْ مُدَاخَلَـــةِ الضَّـــلَالِ

وهذا توضيح للسلامة ما المراد بها؟ فإذا قيل: ماهو القلب السليم؟ يأتي هنا هذا التعريف الجميل المختصر، وأن القلب السليم هو السالم من مداخلة الضلال، أي سليم من دخول الضلال فيه، من الشرك والشك والبدع وغير ذلك، فكان نقيًا، طاهرًا، زكيًا، سالمًا من ذلك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [عَلَامَاتٌ ذُكِرْنَ بِكُلِّ نَثْرٍ]: إشارة منه رَحِمَهُ اللَّهُ إلى ذكر العلماء –رحمهم الله تعالى– لعلامات ودلائل على صحة القلب.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [عَنِ الأَعْلَامِ]: أي من أئمة السلف وعلماء المسلمين – رحمهم الله تعالى–.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [وَاضِحَةَ المَنَالِ]: أي من أراد تحصيلها ونيلها يجدها

---

(١) رواه مسلم (٢٧٢٢).

في مظانها من كتب أهل العلم –رحمهم الله تعالى–، ولا سيما الآيات المتعلقة بصحة القلب وسلامته، ومنها قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩]، أو في الأحاديث النبوية المأثورة عن النبي الكريم ﷺ بمطالعة شروحاتها، ومطالعة كلام أهل العلم في بيانها، وتوضيح مدلولها.

والإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «إغاثة اللهفان» ذكر في هذا الباب خلاصات دقيقة جدًا ومفيدة، وعرفنا أن الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أشار إلى أنه نظم ما وجده في «إغاثة اللهفان»، وإذا رجعت للفصل العاشر من الكتاب تجد أنه تكلم عن هذه العلامات، وعددها علامة تلو الأخرى، فبدأ كلامه بقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « فالقلب الصحيح يؤثر النافع الشافي على الضار المؤذي، والقلب المريض بضد ذلك» ثم بدأ يعدد **بقوله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن علامة صحته كذا...ومن علامة صحته كذا»، يذكر علامة تلو الأخرى، وسنقف على نص كلام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ من «إغاثة اللهفان» عند كل موضع نظمه الإمام ابن سحمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **[وَلَكِنِّي نَظَمْتُ لَهَا نِظَامًا]**: أي أن العلماء –رحمهم الله– ذكروا هذه العلامات نثرًا، لكنني ذكرتها في هذا الموضع نظمًا، ومعلوم أن النظم له فائدة من جهة سهولة الحفظ، ويسر انتظام المعلومات عندما تكون قد نظمت نظمًا سلسا محبوكًا، كما هو الشأن في

هذه المنظومة النافعة التي بين أيدينا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [بِهَا أَرْجُو التَّنَافُسَ فِي الفِضَالِ]: أي رجوت بهذا النظم أن أتنافس في هذا الميدان المبارك الذي هو ميدان أهل العلم، نصحًا للعباد، وبيانًا لدين الله تبارك وتعالى، فأردت التنافس في هذا الميدان، والذي هو ميدان سباق وتنافس، فيقول: رجوت أن أكون في دخولي في هذا النظم منافسًا في هذا الخير، راجيًا ثواب الله سبحانه وتعالى وأجره.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [مَعَ الإِقْرَارِ بِالتَّقْصِيرِ فِيهَا]: أي أنظم هذه الخصال وأجمعها هذا الجمع في هذا النظم مقرًا بأني مقصر فيها، وسيأتي من المشاهد التي ذكرها -رَحِمَهُ اللَّهُ مشهد التقصير، وهو مشهد عظيم جدًا ينبغي أن يشهده المسلم في أعماله كلها، مهما قدمت من عمل سواء الأعمال التعبدية من صلاة أو صيام أو غير ذلك، أو الأعمال العلمية من حفظ ومذاكرة وجلوس في حلق العلم وغير ذلك، ينبغي أن تشهد نفسك مقصرًا، وشهود التقصير له مردود عليك مبارك؛ لأنه كلما أشعرت نفسك به كلما كان ذلك حافزًا لك لمواصلة العمل والجد والاجتهاد في تكميل النفس، بخلاف ما إذا كان الإنسان يحصل قليلًا أو يأتي بعبادات قليلة، ثم يرى نفسه مكملًا ومتممًا للأمر، فمن شأن أهل الحق والخير والهدى تكميل العمل وتتميمه، وفي الوقت نفسه شهود التقصير فيه، فجمعوا بين حسنتين: حسنة إكمال العمل وتكميله، وحسنة شهود التقصير فيه وخوف

ألا يقبل منه، مثل ما قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن المؤمن جمع إحسانا وشفقة، وإن المنافق جمع إساءة وأمنًا»[1].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [وَذِكْرٍ لِلْعَقِيدَةِ فِي المَقَالِ]: أي في هذا المقال، وفي هذا النظم ختمته بذكر للعقيدة، وذكره لها في هذا المقال الذي هو مقال نظم في بيان علامات صحة القلب وما ينبغي أن يشهده ليكون قلبًا زكيًا صالحًا مستقيمًا، تنبيه لطيف من الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ إلى مكانة عقيدة أهل السنة والجماعة وأهميتها، وأنها الأساس الذي لا تكون القلوب سليمة صحيحة إلا به.

المَتـنُ

عَلَامَـــةُ صِـــحَّةٍ لِلْقَلْـــبِ ذِكْـــرٌ
لِـــذِي العَـــرْشِ المُقَـــدَّسِ ذِي الجَـــلَالِ
وَخِدْمَـــةُ رَبِّنَـــا فِـــي كُـــلِّ حَـــالٍ
بِـــلَا عَجْـــزٍ هُنَالِـــكَ أَوْ مَـــلَالِ
وَلَا يَـــأْنَسْ بِغَيْـــرِ اللهِ طُـــرًّا
سِـــوَى مَـــنْ قَـــدْ يَـــدُلَّ إِلَـــى المَعَـــالِ
وَيَـــذْكُرُ رَبَّـــهُ سِـــرًّا وَجَهْـــرًا
وَيُـــدْمِنُ ذِكْـــرَهُ فِـــي كُـــلِّ حَـــالِ

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٩٨٥)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٧٩).

الشَّرْحُ

هذه العلامة الأولى من علامات صحة القلب، وهي العناية بذكر الله سبحانه وتعالى بكثرة، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٤٢﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢]، وقال الله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وفي الذكر لهذه العلامة يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن علامات صحة القلب ألا يفتر عن ذكر ربه، ولا يسأم من خدمته، ولا يأنس بغيره، إلا بمن يدله عليه ويذكّره به، ويذاكره بهذا الأمر»[1].

فالناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه الأبيات الأربعة نظم هذا التقرير الذي ذكره رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان علامة صحة القلب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عَلَامَـــةُ صِـــحَّةٍ لِلْقَلْـــبِ ذِكْـــرٌ
لِـــذِي العَـــرْشِ المُقَـــدَّسِ ذِي الجَـــلَالِ

أي: من علامات صحة القلب وسلامته أن يكثر من ذكر الله دون أن يصيبه فتور أو ملل أو سآمة أو نحو ذلك، بل لا يزال معتنيًا بالذكر محافظًا عليه.

---

(١) «إغاثة اللهفان» (١/ ٧٢).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [**لِذِي العَرْشِ**]: أي العرش المجيد الذي هو أعلى المخلوقات وسقفها، وعليه استوى الرحمن، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [**المُقَدَّسِ**]: من التقديس وهو التنزيه، فالله سبحانه وتعالى مقدس منزه عن النقائص والعيوب وعن مماثلة المخلوقات.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [**ذِي الجَلَالِ**]: أي الموصوف بالجلال سبحانه وتعالى، كما قال الله: ﴿تَبَارَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ۝٧٨﴾[الرحمن: ٧٨].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [**وَخِدْمَةُ رَبِّنَا فِي كُلِّ حَالٍ**]: المراد بالخدمة هنا الطاعة ومداومة العبادة، وهي عبارة وجد التعبير بها عند بعض أهل العلم ومنهم الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ كما مرت العبارة عنده بذلك، والأولى من ذلك الإتيان بالعبارات والألفاظ التي جاءت في الكتاب والسنة، والمراد بها واضح، والمقصد منها بين، وهو العبادة والمواظبة عليها، والمداومة على طاعة الله سبحانه وتعالى.

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «المحب يتلذذ بخدمة محبوبه وتصرفه في طاعته، وكلما كانت المحبة أقوى كانت لذة الطاعة والخدمة أكمل، فليزن العبد إيمانه ومحبته لله بهذا الميزان، ولينظر هل هو ملتذ؟ أو متكرّه لها يأتي بها على السآمة والملل؟ فهذا محل إيمان العبد ومحبته لله تبارك

وتعالى»[1].

إذًا: هذه علامة مهمة، أن يأتي بالعبادة والذكر ويداوم على طاعة الله دون تكرّه، ودون ملل، ودون سآمة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [بِلَا عَجْزٍ هُنَالِكَ أَوْ مِلَالِ]: أي دون أن يكون منه عجز عن ذلك، بل بهمة عالية ونشاط متواصل، ودون أن يحصل منه ملال، والملال هو السآمة، فينبغي على العبد أن يكون هذا شأنه في العبادة والتذلل لله، والتدرج في الطاعات دون أن يحصل عنده سآمة من العمل، أو ملل من العبادة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [وَلَا يَأْنَسْ بِغَيْرِ الله طُرًّا]: طُرًّا: أي جميعًا، أي عليه ألا يحصل له أنس بغير الله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [سِوَى مَنْ قَدْ يَدُلُّ إِلَى المَعَالِ]: أي لا يكن أنسه إلا بالأشخاص الذين يدلونه على المعالي، ويعينونه على طاعة الله، وذكره سبحانه وتعالى، بحيث تكون مجالسهم غنيمة له، فيصبر نفسه على الجلوس معهم ومصاحبتهم، فإن المؤمن ليس له أن يصاحب من شاء؛ لأن الجليس مؤثر في جليسه، والصاحب مؤثر في صاحبه، فعليه ألا يأنس بغير الله طُرًّا، لا يستثنى من ذلك إلا الأشخاص الذين يدلونه على المعالي، بحيث تكون صحبته لهم عونًا له على معالي الأمور في باب

---

(١) « طريق الهجرتين » (ص٣٠٨).

الفضائل، والأخلاق، والعبادات، والمعاملات، والتعبدات.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [وَيَذْكُرُ رَبَّهُ سِرًّا وَجْهَرًا]: والأصل في الذكر أن يكون سرًا بين العبد وربه تبارك وتعالى، ويكون جهرًا في المواطن التي جاء فيها الجهر بذكر الله سبحانه وتعالى، كرفع الصوت بالتكبير مثلًا، أو القراءة الجهرية في الصلاة أو غير ذلك في المواطن التي شرع فيها الإتيان بذكر الله سبحانه وتعالى جهرًا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [وَيُدْمِنُ ذِكْرَهُ فِي كُلِّ حَالِ]: أي يواظب على ذكر الله سبحانه وتعالى مواظبة مستمرة دائمة دون سآمة أو ملال.

وكما تقدم أن أم المؤمنين عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ اللهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ»[1].

أي: قائمًا وقاعدًا، وعلى جنبه، وماشيًا، وراكبًا، وداخلًا، وخارجًا، وفي بدء الطعام، وفي منتهاه، وفي كل أحيانه يكون ذاكرًا لله سبحانه وتعالى.

المَتنُ

وَمِنْهَـــا وَهْـــوَ ثَانِيهَـــا إِذَا مَـــا
يَفُـــوتُ الـــوِرْدُ يَوْمـــًا لِاشْـــتِغَالِ
فَيَـــأْلَمُ لِلْفَـــوَاتِ أَشَـــدَّ مِمَّـــا
يَفُـــوتُ عَلَـــى الحَـــرِيصِ مِـــنَ الفَضَـــالِ

(١) رواه مسلم (٣٧٣).

الشَّرْحُ

هذه العلامة الثانية من علامات صحة القلب، قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن علامات صحته أنه إذا فاته وِرده، وجد لفواته ألمًا أعظم من تألم الحريص بفوات ماله وفقده»[1].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [الوِرْدُ]: أي الوظيفة اليومية الراتبة التي يعتني بها المسلم من صلوات وأذكار وقراءة قرآن، وينبغي للمسلم أن يكون له وِرد يومي يواظب عليه ويعتني به، هذا فيما يتعلق بالذكر المقيد.

وأما الذكر المطلق فهذا باب مفتوح يعتني به المسلم في كل أحيانه، ولكن إذا فاته الوِرد وحصل له أمر طارئ وظرف اضطره إلى أن فاته الوِرد وانشغل عنه، تكون حاله-وهذا من علامات صحة القلب- أن يتألم لفوات هذا الوِرد تألمًا أشد مما يكون من صاحب المال والتجارة إذا فاته مثلًا ربح معين أو مكاسب معينة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ:

فَيَـــأْلَمُ لِلْفَـــوَاتِ أَشَـــدَّ مِمَّـــا
يَفُـــوتُ عَلَـــى الحَـــرِيصِ مِـــنَ الفَضَـــالِ

أي: يكون تألمه أشد من تألم الحريص على المال مثلًا، أو عند فقده له، أو غير ذلك من الأمور، وذلك لعظم مكانة الذكر، والوِرد اليومي

---

(١) «إغاثة اللهفان» (١/ ٧٢).

عنده، فيواظب ويحافظ عليه.

المتن

وَمِنْهَـــا شُـــحُّهُ بِالوَقْـــتِ يَمْضِـــي
ضَـــيَاعًا كَالشَّـــحِيحِ بِبَـــذْلِ مَـــالِ

الشَّرْحُ

هذا البيت ذكر فيه رَحِمَهُ اللَّهُ العلامة الثالثة من علامات صحة القلب، ونظم رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا البيت قول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن علامات صحته – أي القلب – أن يكون أشح بوقته أن يذهب ضائعًا، من أشد الناس شحًا بماله»[1].

فيكون عنده شح بالوقت أشد من شح صاحب المال بماله؛ لأن الوقت أثمن ما يكون، وهو ثمين عن الذهب، فصاحب القلب السليم عنده عناية دقيقة جدًا بوقته، ولهذا يعتني بتنظيمه، ووظائفه في يومه وليلته، ويجد أنه يتنقل من عمل إلى عمل مجاهدًا نفسه على تحقيق رضا ربه سبحانه وتعالى، وعنده شح بوقته، ولا سيما إن دعاه داع إلى شيء فيه إثم ومعصية لله سبحانه وتعالى، فهو شحيح بوقته أشد ما يكون، ويجد أن من الخسران العظيم أن يصرف شيئًا من وقته في أمور تجعله تؤثمه وتغضب

(١) «إغاثة اللهفان» (١/ ٧٢).

ربه عليه، فلا يعطي أحدًا من وقته لأشياء تسخط الله، وتغضب الله سبحانه وتعالى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَمِنْهَـــا شُـــحُّهُ بِالوَقْـــتِ يَمْضِـــي
ضَـــيَاعًا كَالشَّـــحِيحِ بِبَـــذْلِ مَـــالِ

فحاله مع الوقت كحال الشحيح الذي لا يخرج منه المال والدرهم إلا بصعوبة، فهو شحيح بوقته مثلما يكون الشحيح بماله، بل أشد من ذلك.

فهذا فيه التنبيه على أن من علامات صحة القلب المحافظة على الوقت، والرعاية له، وأن يكون في صباحه إذا أصبح لا ينتظر المساء، وإذا أمسى لا ينتظر الصباح، عَنِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: أَخَذَ رَسولُ الله ﷺ بِمَنكِبي، فقال: «كُنْ فِي الدُّنيا كأَنَّكَ غَريبٌ، أو عَابِرُ سَبيلٍ»، وكانَ ابنُ عَمَر يَقولُ: «إذا أَمسيتَ، فَلا تَنتَظر الصَّباح، وإذا أَصْبَحْتَ فلا تَنتَظِرِ المساءَ، وخُذْ مِنْ صِحَّتِك لِمَرضِكَ، ومنْ حَياتِكَ لِمَوتِكَ»[1].

فيأخذ المؤمن من صحته لمرضه، ومن حياته لموته، ومن شبابه لهرمه، والإنسان مجموعة من الوقت، سنوات وشهور وأيام وساعات وينتهي هذا الإنسان في هذه الحياة بانتهاء الوقت المحدد له فيها، و لِكُلِّ

(١) رواه البخاري (٦٤١٦).

أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ [الرعد: ٣٨]، فيعتني بوقته عناية دقيقة، فإن هذا من علامات صحة القلب وسلامته.

وقد قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالعارف ابن وقته فإن أضاعه ضاعت عليه مصالحه كلها، فجميع المصالح إنما تنشأ من الوقت فمتى أضاع الوقت لم يستدركه أبدا»[1].

المَتنُ

وَأَيْضًا مِنْ عَلَامَتِهِ اهْتِمَامٌ
بِهَمٍّ وَاحِدٍ غَيْرِ انْتِحَالِ
فَيَصْرِفَ هَمَّهُ لله صَرْفًا
وَيَتْرُكَ مَا سِوَاهُ مِنَ الهَوَالِ

الشَّرْحُ

في هذين البيتين ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ العلامة الرابعة من علامات صحة القلب، وهو هنا ينظم ما ذكره الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «إغاثة اللهفان» **بقوله** رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن علامات صحته –أي القلب– أن يكون همه واحدًا، وأن يكون في الله»[2].

فيجعل همه همًا واحدًا وهو الاهتمام بنيل رضا الله، والفوز به،

(١) «الجواب الكافي» (ص١٠٩).

(٢) «إغاثة اللهفان» (١/ ٧٢).

وهذا مقصده في هذه الحياة، فيجتمع همه على همّ واحد، فإذا أراد أن يُقدم أو يُحجم أو يفعل أو يترك، فلا يفعل ولا يترك ولا يُقدم ولا يُحجم إلا في حدود هذا الهمّ الذي هو معه دائمًا وأبدًا أن ينال رضا الله سبحانه وتعالى، فينظر في الأمور التي سيفعلها هل هي من رضا الله؟ فإن كانت كذلك أقبل عليها وحمد الله تعالى، وإن كانت من الأمور التي ليس بها رضاه ﷻ؛ بل هي من سخطه تعالى تجنبها، وابتعد عنها، فيجعل همّه همًا واحدًا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [غَيْرِ انْتِحَالِ]: الانتحال هو الانتساب الذي يكون بالزعم والادعاء، ومن السهل على الإنسان أن يقول: أنا همي واحد هو رضا الله؛ لكن ليس المراد هو مجرد الانتحال، بل المراد أن تكون هذه فعلًا هي حقيقة الحال.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [فَيَصْرِفُ همَّهُ لله صَرْفًا]: أي يجاهد نفسه على أن يصرف همه لله صرفًا، ويترك ما سواه من المقال، وفي الحديث في «مسند الإمام أحمد» عن نبينا ﷺ أنه قال: «مَنْ كَانَ هَمُّهُ الآخِرَةَ جَمَعَ اللهُ شَمْلَهُ وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتْ نِيَّتُهُ الدُّنْيَا فَرَّقَ اللهُ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلاَّ مَا كُتِبَ لَهُ»[1].

(١) رواه أحمد (٢١٥٩٠)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٤٠٤).

المَتنُ

وَأَيْضــــــاً مِـــــنْ عَلاَمَتِـــــهِ إِذَا مَـــا
دَنَــا وَقْــتُ الصَّـــلاَةِ لِــذِي الجَـــلاَلِ

وَأَحْــــرَمَ دَاخِـــــلاً فِيهَــــا بِقَلْـــبٍ
مُنِيـــبٍ خَاضِـــعٍ فِـــي كُـــلِّ حَـــالِ

تَنَـــــاآى هَمُّــــــهُ وَالغَـــــمُّ عَنْـــــهُ
بِـــــدُنْيَا تَضْـــــمَحِلُّ إِلَـــــى زَوَالِ

وَوَافَـــــى رَاحَـــــةً وَسُـــــرُورَ قَلْـــبٍ
وَقُـــــرَّةَ عَيْنِـــــهِ وَنَعِـــــيمَ بَـــــالِ

وَيَشْــــتَدُّ الخُـــــرُوجُ عَلَيْـــــهِ فِيهَـــا
فَيَرْغَـــــبُ جَاهِـــــداً فِـــي الإِبْتِهَـــالِ

الشَّرْحُ

هذه العلامة الخامسة من علامات صحة القلب، وهي علامة تظهر عند حضور الصلاة ومجيء وقتها.

وعبادة الصلاة ميزانٌ ومحكٌ يومي، فكيف شأن الإنسان معها؟ وهل هي قرة عين له، وراحة لقلبه؟ أم أنها شيء ثقيل وعبء إذا جاء وقتها أراد أن يتخلص منها؟ وحاله معها ليس، (أرحنا بالصلاة)، وإنما أرحنا من الصلاة؟

فمن علامات صحة القلب عِظَم إقباله على الصلاة، وسروره بها، وتعلق قلبه، وانتظاره لها، وفرحه بمجيئها، وحلول وقتها، وإقباله عليها.

ونظم رَحِمَهُ اللَّهُ في هذه الأبيات قول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن علامات صحته أنه إذا دخل في الصلاة ذهب عنه همّه وغمّه بالدنيا، واشتد عليه خروجه منها، ووجد فيها راحته، ونعيمه، وقرة عينه، وسرور قلبه»[1].

والصلاة ميزان يومي يتكرر خمس مرات في اليوم والليلة، يزن فيه الإنسان نفسه وإيمانه، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ ذَكَرَ الصَّلاَةَ يَوْماً فَقَالَ: «مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُوراً وَبُرْهَانًا وَنَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ وَلاَ بُرْهَانٌ وَلاَ نَجَاةٌ وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَأُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ»[2]، فالصلاة برهان على الإيمان، ودليل عليه، وكلما كان العبد أعظم إقبالًا ومحافظة عليها كان ذلك من الدلائل العظيمة والشواهد البينة على صحة قلبه وسلامته، لكن إذا كان حاله إذا حضرت الصلاة يتململ، وإذا دعي إليها يتضجر، وإذا أوقظ من النوم ليصلي غضب، إلى غير ذلك، فهذه علامة ليست من علامات

---

(١) «إغاثة اللهفان» (١/ ٧٢).

(٢) رواه أحمد (٦٥٧٦)، قال الشيخ ابن باز في «مجموع فتاواه» (١٠/ ٢٧٨): «بإسناد حسن».

سلامة القلب وصحته، وإنما من علامة سقمه ومرضه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَأَيْضًـــــا مِـــنْ عَلَامَتِـــهِ إِذَا مَـــا
دَنَـــا وَقْـــتُ الصَّـــلَاةِ لِـــذِي الجَـــلَالِ

أي: إذا حضر وقت الصلاة لذي الجلال سبحانه وتعالى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [وَأَحْرَمَ دَاخِلاً فِيهَا]: أي كبر تكبيرة الإحرام ودخل في الصلاة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [..........بِقَلْبٍ ** مُنِيبٍ خَاضِعٍ فِي كُلِّ حَالِ]: أي من أحوال الصلاة، فيُحرم ويكبر تكبيرة الإحرام، ويدخل في هذه الصلاة دخول عبد منيب، أي راجع إلى الله، مقبل على طاعته سبحانه وتعالى ونيل رضاه، يؤدي صلاته بخضوع وذل وانكسار بين يدي الله تبارك وتعالى قائمًا وراكعًا وساجدًا يرجو رحمة الله ويخاف عذابه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [تَنَاآى هَمُّهُ وَالغَمُّ عَنْهُ ** بِدُنْيَا..................].

فإذا أحرم في الصلاة داخلًا فيها بقلب منيب خاضع تناآى همه والغم عنه، أي ابتعد، فالدنيا كلها بجميع تفاصيلها تذهب عنه، ولا يكون في قلبه شيء منها، كيف لا؟ وهو القائل: الله أكبر في تكبيرة الإحرام: الله أكبر من كل شيء، فكل شيء يتساقط، وكل شيء يذهب، ولا يبقى في قلبه إلا تكبير الله وتعظيمه وتقديسه والانشغال بذكره سبحانه وتعالى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [تَضْمَحِلُّ إِلَى زَوَالِ]: أي تذهب عنه هذه الدنيا الزائلة الفانية التي لا تبقى للعبد ولا يبقى العبد لها، فلا ينشغل بها، مع أن بعض الناس يبدأ بحساباته وأعماله، وترتيب مصالحه الدنيوية في صلاته، ففي صلاته ينشغل بدنياه، عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْصَرِفُ وَمَا كُتِبَ لَهُ إِلاَّ عُشْرُ صَلاَتِهِ، تُسْعُهَا، ثُمُنُهَا، سُبُعُهَا، سُدُسُهَا، خُمُسُهَا، رُبُعُهَا، ثُلُثُهَا، نِصْفُهَا»[(١)].

قال سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ: «يكتب للرجل من صلاته ما عقل منها»[(٢)]، وأعظم الناس أجرًا في الصلاة أكثرهم لله ذكرًا، وكلما كان أكثر ذكرًا لله بقلبه ولسانه كان ذلك أعظم في أجره، وإذا كان في صلاته منشغل القلب، فليس له من صلاته إلا ما عقل منها، ثم يكون شأنه في الصلاة أنه يجد الراحة والسرور وقرة العين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [وَوَافَى رَاحَةً وَسُرُورَ قَلْبٍ]: أي وجد راحة وسرور قلب.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [وَقُرَّةَ عَيْنِهِ وَنَعِيمَ بَالِ]: هذه أمور يجدها في صلاته، كما قال نبينا عليه الصلاة والسلام: «وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلاَةِ»[(٣)]، وكان

---

(١) رواه أبو داود (٧٩٦)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٥٣٧).

(٢) «حلية الأولياء» (٧/ ٦١).

(٣) رواه أحمد (١٤٠٣٧)، والنسائي (٣٩٣٩)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع»

يقول عليه الصلاة والسلام: «يَا بِلاَلُ أَرِحْنَا بِالصَّلاَةِ»[1]، فالصلاة راحة للقلب، وطمأنينة للنفس، وسعادة ولذة للعبد، فيجد فيها الراحة، ويجد فيها السرور، ويجد فيها قرة العين، ويجد فيها نعيم بال، إذا كانت هذه المعاني العظيمة وجدها في صلاته، كيف يكون شأنه عندما يريد أن يخرج من الصلاة وتنتهي هذه الصلاة التي وجد فيها الراحة والنعيم واللذة وقرة العين وراحة البال؟!.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [وَيَشْتَدُّ الخُرُوجُ عَلَيْهِ مِنْهَا]: وفي نسخة: [ويشق]، وفي نسخة: [ويشتد]، وهو أولى موافقة لكلام الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ؛ لأنه قال: «إذا دخل في صلاته ذهب عنه همه وغمه بالدنيا، **واشتد** عليه خروجه منها».

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [وَيَشْتَدُّ الخُرُوجُ عَلَيْهِ مِنْهَا]: أي يجد شدة في الخروج من هذه الصلاة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [فَيَرْغَبُ جَاهِداً فِي الإِبْتِهَالِ]: كما قال الله: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾ [الشرح: ٧، ٨].

وقطع الهمزة في (الإبتهال) للضرورة الشعرية.

(٣١٢٤).

(١) رواه أحمد (٢٣٠٨٨)، وأبو داود (٤٩٨٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٨٩٢).

وخاتمة الصلاة وهو ما قبل السلام من أحرى مواطن الدعاء والإجابة، فيتحرى قبل أن يسلم ويخرج من صلاته، يتحرى الإلحاح على الله بالدعاء، والإلحاح على الله بالسؤال، وكم هو عظيم الدعاء في هذا الموطن قبل السلام! لأنك قدمت وسائل عظيمة بين يدي هذا الدعاء، قيام بتلاوة القرآن، وحمد الله، والثناء عليه، وركوع وسجود، وقدمت بين يدي هذا الدعاء مقدمات عظيمة، ووسائل جليلة مباركة، فهو من أحرى أوقات الدعاء، والدعاء فيه مستجاب ولا يرد، فيرغب جاهدًا راغبًا في الابتهال، أي في السؤال، والدعاء، والإلحاح على الله سبحانه وتعالى بسؤاله خيري الدنيا والآخرة.

وحول هذا الموضوع ومكانة الصلاة وأهميتها وتعظيمها، طبع لي كتاب بعنوان: «تعظيم الصلاة» ولله الحمد والمنة.

المَتنُ

وَأَيْضـــــًا مِـــــنْ عَلَامَتِـــــهِ اهْتِمَـــــامٌ
بِتَصْـــــحِيحِ المَقَالَـــــةِ وَالفِعَـــــالِ
وَأَعْمَـــــالٌ وَنِيَّـــــاتٌ وَقَصْـــــدٌ
عَلَـــى الإِخْـــلَاصِ يَحْـــرِصُ بِالكَمَـــالِ
أَشَـــــدَ تَحَرُّصـــــًا وَأَشَـــــدَّ هَمّـــــًا
مِـــــنَ الأَعْمَـــــالِ ثَمَّـــــةَ لَا يُبَـــــالِ

بِتَفْـــرِيطِ المُقَصِّـــرِ ثُـــمَّ فِيهَـــا
وَإِفْـــرَاطٍ وَتَشْـــدِيدٍ لِغَـــالِ
وَتَصْـــحِيحُ النَّصِـــيحَةِ غَيْـــرُ غِـــشِّ
يُمَـــازِجُ صَـــفْوَهَا يَوْمـــًا بِحَـــالِ
وَيَحْـــرِصُ فِـــي اتِّبَـــاعِ الـــنَّصِ جُهْـــداً
مَـــعَ الإِحْسَـــانِ فِـــي كُـــلِّ الفِعَـــالِ
وَلَا يُصْـــغِي لِغَيْـــرِ الـــنَّصِ طُـــرًّا
وَلَا يَعْبَـــا بِـــآرَاءِ الرِّجَـــالِ
فَسِـــتٌّ مَشَـــاهِدِ لِلْقَلْـــبِ مِنْهَـــا
عَلَامَـــاتٌ عَـــنْ الـــدَّاءِ العُضَـــالِ
وَيَشْـــهَدُ مِنَّـــةَ الـــرَّحْمَنِ يَوْمًـــا
بِمَـــا أَسْـــدَى عَلَيْـــهِ مِـــنَ الفِضَـــالِ
وَيَشْـــهَدُ مِنْـــهُ تَقْصِـــيرًا وَعَجْـــزًا
بِحَـــقِّ اللهِ فِـــي كُـــلِّ الخِـــلَالِ
فَقَلْـــبٌ لَـــيْسَ يَشْـــهَدُهَا سَـــقِيمٌ
وَمَنْكُـــوسٌ لِفِعْـــلِ الخَيْـــرِ قَـــالِ

الشَّرْحُ

هذه الأبيات ذكر فيها رَحِمَهُ اللَّهُ العلامة السادسة من علامات صحة

القلب، ونظم فيها قول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «إغاثة اللهفان»: «ومنها – أي علامة صحة القلب- أن يكون اهتمامه بتصحيح العمل أعظم منه بالعمل، فيحرص على الإخلاص فيها، والنصيحة والمتابعة والإحسان، ويشهد مع ذلك منة الله عليه فيه، وتقصيره في حق الله، فهذه ستة مشاهد لا يشهدها إلا القلب الحي السليم»[1].

وللإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تفصيل جميل أنصح بمطالعته وقراءته في رسالته التي هي بعنوان: «رسالة الإمام ابن القيم إلى أحد إخوانه» (ص٢٤)، وهي رسالة ثمينة وقيمة ونافعة جدًا، ومشتملة على وصايا عظيمة جدًا أوصى بها الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ أحد إخوانه، فنفع الله بها نفعا عظيمًا، ومن جملة فوائد هذه الرسالة تفصيل لهذه المشاهد الستة التي لا يشهدها إلا القلب الحي السليم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [وَأَيْضًا مِنْ عَلَامَتِهِ]: أي علامة القلب السليم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [.....اهْتِمَامٌ ** بِتَصْحِيحِ المَقَالَةِ وَالفِعَالِ].

وَأَعْمَـــــالٌ وَنِيَّـــــاتٌ وَقَصْـــــدٌ

عَلَـــى الإِخْـــلَاصِ .....

هذا كله جملة واحدة، فيهتم بتصحيح أقواله، وتصحيح أفعاله، وتصحيح أعماله، وتصحيح نياته، ومقاصده، كل هذه يصححها على

---

(١) « إغاثة اللهفان » (١/ ٧٢).

الإخلاص، أن تكون أقواله، وأفعاله، وأعماله، ونياته خالصة لله، لا يبتغي بشيء منها إلا وجه الله سبحانه وتعالى.

والإخلاص هو الإتيان بالعمل والقول، والنية، صافيًا نقيًا، لا يراد به إلا الله سبحانه وتعالى، كما قال الله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **[أَشَدَ تَحَرُّصًا وَأَشَدَّ هَمًّا ** مِنَ الأَعْمَالِ.....].**

فيهتم بتصحيح هذه الأمور على الإخلاص، ويحرص بالكمال أشد تحرصًا، وأشد همًا من الأعمال، يكون حرصه على كون الأعمال بنية صحيحة وخالصة لله تبارك وتعالى، أشد من عنايته بالعمل نفسه؛ لأن العمل وإن كان متعددًا وكثيرًا ومتنوعًا إن لم يكن قائمًا على الإخلاص لم يقبله الله، وفي الحديث القدسي: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»[(١)].

فهو جَلَّ جَلَالُهُ لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا لوجهه.

إذا صاحب القلب السليم يحرص حرصًا شديدًا على الإخلاص، وتصحيح العمل أشد تحرصًا منه على العمل نفسه.

---

(١) رواه مسلم (٢٩٨٥).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [.................**........ ثَمَّةَ لا يُبَالِ].

بِتَفْـــرِيطِ المُقَصِّـــرِ ثُـــمَّ فِيهَـــا
وَإِفْـــرَاطٍ وَتَشْـــدِيدٍ لِغَـــالِ

أي: أنه تقع منه الأعمال خالصة لله سبحانه وتعالى، موافقة لهدي النبي الكريم عليه الصلاة والسلام، ولا يبالي بإفراط مفرط، أو تفريط مقصر؛ لأنه جاء عمله وسطًا بين الإفراط والتفريط، والغلو والجفاء، ودين الله وسط بينهما، كما قال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، أي لا غلو ولا جفاء، ولا إفراط ولا تفريط، وخير الأمور أوساطها، لا تفريطها ولا إفراطها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [وَتَصْحِيحِ النَّصِيحَةِ غَيْرُ غِشٍّ]: فهناك عدة أمور يعتني بتصحيحها، ذكر الإخلاص وذكر النصيحة، وتصحيحها بحيث يكون ناصحًا في العمل، وفي الحديث: عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ»، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»[1]، فيصحِّح النصيحة ولا يكون في علمه غاشًا لغيره.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [......... غَيْرُ غِشٍّ ** يُمَازِجُ صَفْوَهَا يَوْمًا بِحَالِ].

أي: باستمرار وهو يجاهد نفسه على وقوع العمل على النصيحة التي هي السلامة من الغش.

(١) رواه مسلم (٥٥).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [صَفْوَهَا]: أي صفو هذه الأعمال.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [يَوْمًا بِحَالِ]: أي في أي يوم من الأيام.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [وَيَحْرِصُ فِي اتِّبَاعِ النَّصِ جَهْداً]: أي يجاهد نفسه على الاتباع، لهدي النبي الكريم وسنته القويمة صلوات الله وسلامه عليه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [مَعَ الإِحْسَانِ فِي كُلِّ الفِعَالِ]: أي يجاهد نفسه على وقوع العمل على الإحسان، والإحسان هو الإتقان والإجادة، وله ركن واحد جاء بيانه في قول النبي ﷺ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»[1].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [وَلَا يُصْغِي لِغَيْرِ النَّصِ طُرًّا]: أي لا يستمع لغير النص؛ لأن عمله إنما هو بالنص، والمراد بالنص كلام الله عزوجل، وكلام رسوله عليه الصلاة والسلام.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [وَلَا يَعْبَأُ بِآرَاءِ الرِّجَالِ]: أي لا يبالي ولا يكترث بآراء الرجال؛ لأن المقدم عنده هو كلام الله، وكلام رسوله صلوات الله وسلامه عليه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [فَسِتُّ مَشَاهِدِ لِلْقَلْبِ مِنْهَا ** عَلَامَاتٌ عَنْ الدَّاءِ العُضَالِ].

مر معنا أن الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ لما أشار لهذه المشاهد الستة، قال:

---

(١) رواه مسلم (٨).

لا يشهدها إلا القلب الحي السليم، وهذه علامات على سلامة القلب ووقايته من الداء العضال.

ويضاف إلى ذلك في هذه المشاهد ما ذكره **بقوله** رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَيَشْـــهَدُ مِنَّـــةَ الـــرَّحْمَنِ يَوْمًـــا

بِمَـــا أَسْـــدَى عَلَيْـــهِ مِـــنَ الفِضَـــالِ

أي: كل ما يقوم به من أعمال، وعبادات، وطاعات، وأذكار، وغير ذلك، يشهد فيها منة الله عليه، كما كان الصحابة يقولون:

«**وَاللهِ لَـــوْلاَ اللهُ مَـــا اهْتَـــدَيْنَا وَلاَ تَصَـــدَّقْنَا وَلاَ صَـــلَّيْنَا**»[1].

فيشهد منة الله عليه، ودائمًا يحمد الله أن هداه، وأن يسر له، ومنَّ عليه، ويشهد منة الله عليه بالتوفيق للعبادة، وتيسير الطاعة، والعون على الذكر والشكر.

وشهود المنة يطرد عجب الإنسان بنفسه وعمله، والعجب آفة عظيمة مهلكة للإنسان، كما قال الناظم:

والعجـــب فاحـــذره إن العجـــب مجـــترف

أعمـــــال صـــــاحبه في ســـــيله العـــــرم

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [**وَيَشْهَدُ مِنْهُ تَقْصِيرًا وَعَجْزًا ** بِحَقِّ اللهِ فِي كُلِّ الخِلَالِ**].

أي من نفسه، وهذا أمر آخر يشهده، وهو أنه يشهد من نفسه تقصيرًا

---

(١) رواه البخاري (٤١٠٤)، ومسلم (١٨٠٢).

وعجزًا في العبادة والقيام بها، فيشهد نفسه دائمًا وأبدًا أنه مقصر في جنب الله، وأن حق الله عليه أعظم من هذا الذي قام به، فيشهد نفسه دائمًا في مشهد التقصير.

وذكر الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه الأبيات ستة مشاهد:

المشهد الأول: الإخلاص؛ ذكره في **قوله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [بتصحيح المقالة والفعال وأعمال ونيات وقصد على الإخلاص].

المشهد الثاني: تصحيح النصيحة؛ قال: [وتصحيح النصيحة]، ذكره في البيت رقم: (ستة وعشرين).

المشهد الثالث: يحرص في اتباع النص؛ وهو المتابعة لهدي النبي الكريم عليه الصلاة والسلام، وذكره في البيت الذي يليه.

المشهد الرابع: الإحسان؛ قال: [مع الإحسان في كل الفعال]، وذكره في البيت نفسه.

المشهد الخامس: شهود المنة؛ قال: ويشهد منة الرحمن، وذكره في البيت رقم: (ثلاثين).

المشهد السادس: شهود التقصير؛ قال: ويشهد منه تقصيرًا وعجزًا، في البيت الذي يليه.

وهذه المشاهد الستة ذكرها الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الكلام الذي ذكرناه وهو **قوله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فيحرص على الإخلاص فيه، والنصيحة،

والمتابعة، والإحسان، ويشهد مع ذلك منة الله عليه فيه، وتقصيره في حق الله، فهذه ستة مشاهد، لا يشهدها إلا القلب الحي السليم»[1].

وختم هذه المشاهد الستة **بقوله** رَحِمَهُ اللَّهُ: [فَقَلْبٌ لَيْسَ يَشْهَدُهَا سَقِيمٌ]: فالقلب الذي لا يشهد هذه المشاهد الستة هو قلب سقيم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [وَمَنْكُوسٌ لِفِعْلِ الخَيْرِ قَالِ].

قَالِ: أي مبغض، فالقلب السليم هو ذلك القلب الذي يشهد هذه المشاهد الستة العظيمة.

المَتنُ

فَـــإِنْ رُمْـــتَ النَّجَـــاةَ غَـــدًا وَتَرْجُـــو
نَعِيمًـــــا لَا يَصِـــــيرُ إِلَـــــى زَوَالِ
نَعِـــــيمٌ لَا يَبِيـــــدُ وَلَـــــيْسَ يَفْنَـــــى
بِـــدَارِ الخُلْـــدِ فِـــي غُـــرَفٍ عَـــوَالِ
فَـــلَا تُشْـــرِكْ بِرَبِّـــكَ قَـــطُّ شَـــيْئًا
فَـــإِنَّ اللهَ جَـــلَّ عَـــنِ المِثَـــالِ
إِلَـــهٌ وَاحِـــدٌ أَحَـــدٌ عَظِـــيمٌ
عَلِـــيمٌ عَـــادِلٌ حَكَـــمُ الفِعَـــالِ

(١) «إغاثة اللهفان» (١/ ٧٣).

رَحِـــــيمٌ بِالعِبَـــــادِ إِذَا أَنَـــــابُوا
وَتَـــابُوا مِـــنْ مُتَابَعَـــةِ الضَّـــلَالِ
شَـــدِيدُ الإِنْتِقَـــامِ بِمَـــنْ عَصَـــاهُ
وَيُصْـــلِيهِ الجَحِـــيمَ وَلَا يُبَـــالِ

الشَّرْحُ

من هذه الأبيات وما بعدها بدأ رَحِمَهُ اللَّهُ بذكر خلاصة لعقيدة أهل السنة، وفي المقدمة قد ذكر أنه ختم هذه الأبيات بعقيدة أهل السنة والجماعة، وذلك في قوله في البيت السابع: [وَذِكْرٍ لِلْعَقِيدَةِ فِي المَقَالِ].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [فَإِنْ رُمْتَ النَّجَاةَ غَدًا]: أي طلبت وأردت لنفسك النجاة، والنجاة غدًا يوم لقاء الله سبحانه وتعالى تكون بالزحزحة عن النار ودخول الجنة، كما قال الله تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران: ١٨٥].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [..... وَتَرْجُو ** نَعِيمًا لَا يَصِيرُ إِلَى زَوَالِ].

أي: ترجو لنفسك في ذلك اليوم العظيم نعيمًا دائمًا باقيًا، لا يزول ولا ينقطع ولا يبيد.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [نَعِيمًا لَا يَبِيدُ وَلَيْسَ يَفْنَى ** بِدَارِ الخُلْدِ فِي غُرَفٍ عَوَالِ].

أي: إذا أردت لنفسك دخول الجنات، والفوز بما فيها من عظيم الكرامات، والهبات، والمنن، والعطايات التي أعدها الله سبحانه وتعالى

لأهل الجنات، فعليك أولًا بإصلاح التوحيد والعناية به، والحذر من ضده وهو الشرك، ولهذا قال: [فَلَا تُشْرِكْ بِرَبِّكَ قَطُّ شَيْئًا]: أي احذر الشرك كله، دقه وجله، صغيره وكبيره، فإن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨]، فاحذر الشرك، لا تشرك بربك قط أي شيء كان، لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل، فضلًا عن ما هو دونهما.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [فَإِنَّ الله جَلَّ عَنِ المِثَالِ]: قال الله تعالى: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٢٢]، أي أنه لا خالق لكم غير الله، و قال تعالى: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [مريم: ٦٥]: استفهام بمعنى النفي، أي لا سمي له، وقال تبارك وتعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [إِلَهٌ وَاحِدٌ أَحَدٌ عَظِيمٌ ** عَلِيمٌ عَادِلٌ حَكَمُ الفِعَالِ].

هذا ذكر لأسماء حسنى لله تبارك وتعالى، وصفات عليا له جَلَّ جَلَالُهُ ساقها المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ مساق ذكر البراهين والدلائل على وجوب توحيد الله والحذر من الإشراك، وأن العبادة حق للإله، الواحد، العظيم، العليم، العدل، الحكم سبحانه وتعالى، الرحيم بالعباد، إلى غير ذلكم من صفاته الدالة على كماله، وعظمته، ووجوب إخلاص الدين له جَلَّ جَلَالُهُ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ:

رَحِـــــيمٌ بِالعِبَـــــادِ إِذَا أَنَـــــابُوا
وَتَـــابُوا مِـــنْ مُتَابَعَـــةِ الضَّـــلَالِ
شَـــدِيدُ الإِنْتِقَـــامِ بِمَـــنْ عَصَـــاهُ
وَيُصْـــلِيهِ الجَحِـــيمَ وَلَا يُبَـــالِ

جمع هنا ما دل عليه قول الله تعالى: ﴿ ۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠]، فالله سبحانه وتعالى رحيم بالعباد إذا أنابوا وتابوا من متابعة الضلال، ورحمته كتبها للتائبين المنيبين المقبلين على طاعة الله سبحانه وتعالى، المجانبين لمتابعة الضلال، والمبتعدين عن سبله، فهؤلاء لهم من الله سبحانه وتعالى الرحمة، ﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤٣].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [شَدِيدُ الإِنْتِقَامِ بِمَنْ عَصَاهُ ** وَيُصْلِيهِ الجَحِيمَ وَلَا يُبَالِ].

وأما من عصاه فإن الله شديد الانتقام، وينبغي على العبد أن يعرف ربه بذلك، يعرفه برحمته، ويعرفه أيضًا بشدة انتقامه، حتى يجمع لنفسه في عبادته لربه بين الرجاء والخوف، والرغبة والرهبة؛ لأن الله رحيم، وفي الوقت نفسه شديد العقاب، فيجمع العبد لنفسه بهذه المعرفة بين رجاء الرحمة، وخوف العقاب.

المَتنُ

فَبَـــادِرْ بِالَّـــذِي يَرْضَـــى لِتَحْظَـــى

بِخَيْـــرٍ فِـــي الحَيَـــاةِ وَفِـــي المَـــآلِ
وَلَازِمْ ذِكْـــرَهُ فِـــي كُـــلِّ وَقْـــتٍ
وَلَا تَـــرْكَنْ إِلَـــى قِيـــلٍ وَقَـــالِ

الشَّرْحُ

هنا يحث رَحِمَهُ اللَّهُ على المبادرة والمسارعة والمسابقة إلى الأمور التي رضيها الله لعباده، ويرضى عن عباده لفعلهم لها، فينبغي على العبد أن يبادر ويسارع إلى هذه الأعمال، من أجل أن يحظى ويفوز بخير في الحياة وفي المآل.

وهذا فيه أن عناية العبد بالأعمال التي فيها رضا الله سبحانه وتعالى يترتب عليها الخير للعبد في حياته الدنيا، وفي مآله يوم القيامة يوم يلقى الله سبحانه وتعالى.

ثم حث رَحِمَهُ اللَّهُ على ملازمة الذكر في كل الأوقات.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [وَلَازِمْ ذِكْرَهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ]: أي قائمًا، وقاعدًا، ومضطجعًا، وراكبًا، وماشيًا، وداخلًا، أو خارجًا، داوم على ذكر الله، ولازم ذكره سبحانه وتعالى في كل وقت.

ومن فوائد الذكر العظيمة: أن الاشتغال به يشغل العبد عن الخوض في قيل وقال مما لا نفع فيه؛ لأن اللسان خلق للكلام، فإذا شُغل بذكر الله انشغل عن القيل والقال، وإذا يبس عن ذكر الله تبارك وتعالى اشتغل بكل

باطل وضلال، فينبغي على الإنسان أن يعود نفسه على العناية بذكر الله سبحانه وتعالى؛ لأن الذكر ينهى صاحبه عن الغيبة، وعن النميمة، وعن كل قول يفسد الديانة، ففيه حفظ للسان، وصيانة للإنسان، بينما إذا غفل عن ذكر الله، اشتغل بقيل وقال من الأمور التي تضره ولا تنفعه، ولهذا قال: [وَلَا تَرْكَنْ إِلَى قِيلٍ وَقَالِ]: أي قيل: كذا، وزعموا كذا، ويقال: كذا، وشغل الأوقات بأمور ليس بها نفع، وربما أيضًا يكون فيها مضرة على العبد.

المَتنُ

وَأَهْـــلَ العِلْـــمِ جَالِسْـــهُمْ وَسَـــائِلْ
وَلَا يَـــذْهَبْ زَمَانُـــكَ فِـــي اغْتِفَـــالِ

الشَّرْحُ

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: وَأَهْلَ العِلْمِ: مفعول به مقدم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [جَالِسْهُمْ]: أي احرص على مجالستهم؛ لأن مجالسة أهل العلم غنيمة؛ لأنهم يعلمون الجاهل، وينبهون الغافل، ويذكرون بالله، وبطاعته سبحانه وتعالى، فيحصل في مجالستهم الخير العظيم، والنفع العميم، فاحرص أشد الحرص على مجالستهم، وسؤالهم عما ينفعك في دينك، وما يقربك إلى الله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [وَلَا يَذْهَبْ زَمَانُكَ فِي اغْتِفَالِ]: أي لا يذهب زمانك

ويضيع عمرك في الغفلة واللهو، بل احرص على مجالسة أهل العلم، وسؤالهم، والتفقه على أيديهم، والانتفاع بما آتاهم الله سبحانه وتعالى من علم، وفهم، وحكمة، فهذا فيه فائدة للعبد، ويحرص على أهل العلم المعروفين بالسنة، واتباع هدي النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه.

ويقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في كلام جميل له حول هذا الموضوع: «فإذا أراد العبد أن يقتدي برجل فلينظر: هل هو من أهل الذكر أو من الغافلين؟ وهل الحاكم عليه الهوى أو الوحي؟ فإن كان الحاكم عليه هو الهوى وهو من أهل الغفلة كان أمره فرطا...فينبغي للرجل أن ينظر في شيخه وقدوته ومتبوعه؛ فإن وجده كذلك فليبعد منه، وإن وجده ممن غلب عليه ذكر الله تعالى عز و جل واتباع السنة وأمره غير مفروط عليه بل هو حازم في أمره فليستمسك بغرزه »[1].

وهذه وصية عظيمة وثمينة جدًا، يحتاج إليها المسلم في من يتخذه قدوة له.

المَتنُ

وَأَحْسِـــنْ وَانْبَسِـــطْ وَارْفُـــقْ وَنَـــافِسْ
لِأَهْـــلِ الخَيْـــرِ فِـــي رُتَـــبِ المَعَـــالِ
فَحُسْـــنُ البِشْـــرِ مَنْـــدُوبٌ إِلَيْـــهِ

(١) «الوابل الصيب» (ص ٥٦).

وَيَكْسُـــو أَهْلَـــهُ ثَـــوْبَ الجَمَـــالِ

الشَّرْحُ

هذا حث على هذه الأعمال العظيمة، وترغيب فيها، وهي التحلي بمكارم الأخلاق، وجميل الآداب، وطيب المعاشرة والمعاملة، وأن تكون خلطة الإنسان للناس مبنية على مثل هذه الأمور.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [وَأَحْسِنْ]: أحسن إلى الناس في التعامل معهم، فإن الله سبحانه وتعالى يحب المحسنين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [وَانْبَسِطْ]: أي تلقى الناس بالانبساط والبشر، ولا تلقاهم بالوجه المقطب أو الوجه العابس، أو نحو ذلك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [وَارْفُقْ]: أي عامل الناس بالرفق، وقد جاءت السنة النبوية بالحث على الرفق في الأمور كلها؛ عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِي شَيءٍ إِلاَّ زَانَهُ، وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَيءٍ إِلاَّ شَانَهُ»[1].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [..... وَنَافِسْ ** لِأَهْلِ الخَيْرِ فِي رُتَبِ المَعَالِ].

أي خالط وعاملهم بهذه المعاملة الكريمة الطيبة، لكن عندما تأتي إلى باب القدوة وباب العمل كن منافسًا ومسابقًا إلى رتب المعالي.

---

(١) رواه مسلم (٢٥٩٤).

قولـه رَحِمَهُ اللَّهُ: [رُتَـبِ المَعَـالِ]: أي معـال الأمـور مـن الطاعـات والعبادات المقربة إلى الله سبحانه وتعالى، والتي ينال بها رفيع الدرجات.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [فَحُسْنُ البِشْرِ]: أي أن تلقى أخاك بالبشر والوجه الطليق، وفي «صحيح مسلم» من حديث أبي ذر، عن نبينا ﷺ أنه قال: «لاَ تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ»(١)، فهذا أمر مندوب إليه، وجاءت السنة بالحث عليه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [وَيَكْسُو أَهْلَهُ ثَوْبَ الجَمَالِ]: هذا فيه أن الأخلاق والآداب الفاضلة التي حثت عليها الشريعة هي في الحقيقة جمال لصاحبها وزينة له.

المَتنُ

وَأَحْبِـــبْ فِـــي الإِلَـــهِ وَعَـــادِ فِيـــهِ
وَأَبْغِـــــضْ جَاهِـــــداً فِيـــــهِ وَوَالِ

وَأَهْـــلَ الشِّـــرْكِ بَـــايِنْهُمْ وَفَـــارِقْ
وَلَا تَــرْكَنْ إِلَـــى أَهْـــلِ الضَّـــلاَلِ

الشَّرْحُ

في هذين البيتين تنبيه على ما ينبغي على أن يكون عليه العبد في باب الولاء والبراء والحب والبغض، أن يكون في حبه وولائه، وبغضه وعدائه

(١) رواه مسلم (٢٦٢٦).

منطلقًا في هذا الباب من قاعدة الدين الحب في الله، والبغض في الله، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، **وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ**، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»(١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [وَأَحْبِبْ فِي الإِلَهِ وَعَادِ فِيهِ ** وَأَبْغِضْ جَاهِداً فِيهِ وَوَالِ].

أي: ليكن حبك وبغضك، وولاؤك وعداؤك في الله، ولأجل الله سبحانه وتعالى، وفي الحديث عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ وَأَبْغَضَ لِلَّهِ وَأَعْطَى لِلَّهِ وَمَنَعَ لِلَّهِ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ»(٢).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [وَأَهْلَ]: مفعول به مقدم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [وَأَهْلَ الشِّرْكِ بَايِنْهُمْ وَفَارِقْ ** وَلَا تَرْكَنْ إِلَى أَهْلِ الضَّلَالِ].

أي: احذر أهل الشرك، وباينهم، وجانبهم، وكن مبغضًا لهم، وأيضًا احذر أهل الضلال عمومًا، لا تركن إليهم، ولا تحرص على مجالستهم، وإنما ليكن حرصك على مجالسة أهل الخير والنبل والفضل.

المَتن

وَتَشْـــــهَدُ قَاطِعًـــا مِـــنْ غَيْـــرِ شَـــكٍّ

---

(١) رواه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣).

(٢) رواه أبو داود (٤٦٨٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٩٦٥).

بِـــــأَنَّ الله جَـــــلَّ عَـــــنِ المِثَـــــالِ

الشَّرْحُ

أي: تشهد قاطعًا في جملة ما تدين الله به وتعتقده بدون أن يكون عندك شك أو تردد بأن الله جلَّ عن أن يكون له مثال، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مريم: ٦٥]، وكما قال الله تبارك وتعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشورى: ١١]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾ [النحل: ٧٤].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [مِنْ غَيْرِ شَكٍّ]: أي من غير تردد.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [جلَّ]: تنزَّه وتقدَّس.

المَتنُ

عَـــلَا بِالـــذَّاتِ فَـــوْقَ العَـــرْشِ حَقًّـــا
بِـــــلَا كَيْـــــفٍ وَلَا تَأْوِيـــــلِ غَـــــالِ
عُلُـــــوَّ القَـــــدْرِ وَالقَهْـــــرِ اللَّـــــذَانِ
هُمَـــــا لله مِـــــنْ صِـــــفَةِ الكَمَـــــالِ
بِهَـــــذَا جَاءَنَـــــا فِـــــي كُـــــلِّ نَـــــصٍّ
عَـــــنِ المَعْصُـــــومِ مِـــــنْ صَـــــحْبٍ وَآلِ

الشَّرْحُ

هذا كله تابع لما سبق من أن المرء يشهد شهادة قاطعة جازمة لا

شك فيها بأن الله سبحانه وتعالى جل عن المثال علا بالذات.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [عَلَا بِالذَّاتِ فَوْقَ العَرْشِ حَقًّا]: أي كما أخبر هو سبحانه وتعالى عن نفسه بذلك، وكما أخبر به رسوله صلوات وسلامه عليه، علوًا يليق بجلاله وكماله، قال الله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، وقال: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الأعراف: ٥٤، وغيرها]، فتشهد بذلك مؤمنًا جازمًا دون أن يكون عندك شك أو ريب في ذلك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [بِلَا كَيْفٍ وَلَا تَأْوِيلِ غَالِ]: أي احذر من هذين الأمرين: أثبت لله علوه على العرش بلا كيف، فنؤمن بأن الله استوى، ولا نعلم كيف استوى؟

وهنا يأتي الأثر المشهور عن الإمام مالك، عندما سأله ذلك الرجل، قال له: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}، كيف استوى؟.

قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»[1].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [بِلَا كَيْفٍ]: أي بلا كيف نعلمه، أي بلا تكييف.

---

(١) «حلية الأولياء» (٦/ ٣٢٥)، «سير أعلام النبلاء» (٨/ ١٠٠).

ولشيخنا عبد الرزاق بن عبد الرزاق البدر حفظه الله كتاب مهم جدا بعنوان: «الأثر المشهور عن الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ في صفة الاستواء (دراسة تحليلية)».

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [وَلَا تَأْوِيلَ غَالِ]: تأويل الغالي هو الذي يقول: استوى أي استولى، أو نحو ذلك من التأويلات التي ما أنزل الله بها من سلطان، فاحذر من التكييف، وأيضًا احذر من التأويل، وأثبت لله سبحانه وتعالى علوه واستواءه على عرشه، العلو الذي يليق بجلاله وكماله وعظمته.

ثم ينبه رَحِمَهُ اللَّهُ أن علو الله أنواع ثلاثة:

الأول: علو الذات، ذكره في البيت الذي مر.

الثاني: علو القدر.

الثالث: علو القهر.

ذكرهما في **قوله** رَحِمَهُ اللَّهُ: [عُلُوَّ القَدْرِ وَالقَهْرِ اللَّذَانِ ** هُمَا لله مِنْ صِفَةِ الكَمَالِ].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [بِهَذَا جَاءَنَا فِي كُلِّ نَصٍّ ** عَنِ المَعْصُومِ مِنْ صَحْبٍ وَآلِ].

أي جاءنا في كل نص من النقول المنقولة عن المعصوم ما يدل على ذلك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [مِنْ صَحْبٍ وَآلِ]: أي نقلها الصحابة وآل بيت النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليهم.

المَتنُ

وَيَنْـــزِلُ رَبُّنَـــا فِـــي كُـــلِّ لَيْـــلٍ

إِلَـــى أَدْنَـــى السَّـــمَوَاتِ العَـــوَالِ
لِثُلْـــثِ اللَّيْـــلِ يَنْـــزِلُ حِـــينَ يَبْقَـــى
بِـــلَا كَيْـــفٍ عَلَـــى مَـــرِّ اللَّيَـــالِ
يُنَـــادِي خَلْقَـــهُ هَـــلْ مِـــنْ مُنِيـــبٍ؟
وَهَـــلْ مِـــنْ تَائِـــبٍ فِـــي كُـــلِّ حَـــالِ؟
وَهَـــلْ مِـــنْ سَـــائِلٍ يَـــدْعُو بِقَلْـــبٍ
فَيُعْطَـــى سُـــؤْلَهُ عِنْـــدَ السُّـــؤَالِ؟
وَهَـــلْ مُسْـــتَغْفِرٌ مِمَّـــا جَنَـــاهُ
مِـــنَ الأَعْمَـــالِ أَوْ سُـــوءِ المَقَـــالِ؟

الشَّرْحُ

وهذا أيضًا من جملة أمور المعتقد التي يجب على الإنسان أن يشهد قاطعًا فيها من غير شك، أن الله سبحانه وتعالى ينزل في كل ليلة إلى السماء الدنيا، كما جاء في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلْنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»[1]، ففي هذه الأبيات نظم رَحِمَهُ اللَّهُ هذا المعنى الوارد في هذا الحديث، وحديث النزول حديث متواتر، وقد ذكر الإمام ابن القيم

(١) رواه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨).

رَحِمَهُ اللَّهُ أن هذا المعنى ورد «في نحو ثلاثين حديثا كلها مصرحة بإضافة النزول إلى الرب»[1]، فالنزول الإلهي نؤمن به، ونثبته كما جاء وثبت عن رسولنا ﷺ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [وَيَنْزِلُ رَبُّنَا فِي كُلِّ لَيْلٍ ** إِلَى أَدْنَى السَّمَوَاتِ العَوَالِ].

أي إلى السماء الدنيا؛ لأن السموات العوالي أدناها السماء الدنيا، والله سبحانه وتعالى ينزل إليها كما أخبر بذلك الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى صلوات الله وسلامه عليه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [لِثُلُثِ اللَّيْلِ يَنْزِلُ حِينَ يَبْقَى]: أي نزول الله سبحانه وتعالى في الثلث الأخير من الليل، حين يبقى من الليل ثلثه الأخير.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [بِلَا كَيْفٍ عَلَى مَرِّ اللَّيَالِ]: أي أن النزول هذا ليس مختصًا بليلة واحدة، بل كل ليلة، كما جاء في الحديث: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا».

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [بِلَا كَيْفٍ]: نحن نؤمن أنه ينزل ولا نعلم كيف ينزل؛ لأن النبي ﷺ أخبرنا أن الله ينزل، ولم يخبرنا كيف ينزل، فنثبت ما أخبرنا به رسولنا عليه الصلاة والسلام، ونكف عما لم يخبرنا به، فالكيف مجهول لا نعلمه، والنزول حق دلت عليه السنة الصحيحة الثابتة عن الرسول الكريم ﷺ.

---

(١) «الصواعق المرسلة» (١/ ٣٨٨).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [يُنَادِي خَلْقَهُ]: أي حين ينزل سبحانه وتعالى ينادي خلقه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [هَلْ مِنْ مُنِيبٍ؟]: أي راجع إلى الله، ومقبل على طاعته ونيل رضاه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [وَهَلْ مِنْ تَائِبٍ فِي كُلِّ حَالِ؟]: فيقبل الله توبته وإنابته، وهذا حث وحض للعباد على الإقبال على الله بالتوبة وبالإنابة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [وَهَلْ مِنْ سَائِلٍ يَدْعُو بِقَلْبٍ ** فَيُعْطَى سُؤْلَهُ عِنْدَ السُّؤَالِ؟].

وهذا فيه أن هذا الوقت مستجاب فيه الدعاء، ولا سيما من يدعو الله بقلب حاضر، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ادْعُوا اللهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ لاَ يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لاَهٍ»[1]، فيكون الدعاء بحضور قلب في هذا الوقت المبارك، وكل وقت يدعو الله سبحانه وتعالى فيه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [وَهَلْ مُسْتَغْفِرٌ مِمَّا جَنَاهُ ** مِنَ الأَعْمَالِ أَوْ سُوءِ المَقَالِ؟].

أي هل من منتهز لهذه الفرصة العظيمة ليكثر العبد فيها من الاستغفار؟، وهو من أحسن أوقاته، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات: ١٨]، وقال تعالى:

---

(١) رواه الترمذي (٣٤٧٩)، وحسنه الألباني في «صحيح الترمذي» (٢٧٦٦).

﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧]، فهو وقت عظيم للاستغفار.

إذا: هذه أمور ثلاثة ينادي خلقه سبحانه وتعالى بها: هل من تائب؟ هل من سائل؟ هل من مستغفر؟ وكلها ذكرها الحديث الذي ثبت عن نبينا الكريم صلوات الله وسلامه عليه.

المَتنُ

وَتَشْـــهَدُ أَنَّمَـــا القُـــرْآنُ حَقًّـــا
كَـــلَامُ اللهِ مِـــنْ غَيْـــرِ اعْـــتِلَالِ
وَلَا تَمْوِيـــهِ مُبْتَـــدِعٍ جَهُـــولٍ
بِخَلْـــقِ القَـــوْلِ عَـــنْ أَهْـــلِ الضَّـــلَالِ
وَآيَـــاتُ الصِّـــفَاتِ تَمُـــرُّ مَـــرًّا
كَمَـــا جَـــاءَتْ عَلَـــى وَجْـــهِ الكَمَـــالِ

الشَّرْحُ

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [وَتَشْهَدُ أَنَّمَا القُرْآنُ حَقًّا ** كَلَامُ اللهِ مِنْ غَيْرِ اعْتِلَالِ].

أي تؤمن وتدين وتقر بأن القرآن كلام الله، تكلم الله سبحانه وتعالى به حقًا، وسمعه منه جبريل، ونزل به جبريل إلى محمد ﷺ، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥]،

وقال تعالى: ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ [السجدة: ٢]، فنشهد بأن القرآن حق، كلام الله، تكلم الله سبحانه وتعالى به حقيقة، من غير اعتلال ولا تمويه مبتدع جهول.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **[وَلَا تَمْوِيهِ مُبْتَدِعٍ جَهُولٍ ** بِخَلْقِ القَوْلِ عَنْ أَهْلِ الضَّلَالِ].**

أي تحذر أشد الحذر من الذي يصرح بنفي أن القرآن كلام الله، أو من يقول: نضيف القرآن إلى الله؛ لكنه يموه، ومحصل هذا التمويه القول بقول النفاة، الذين ينفون أن القرآن كلام الله سبحانه وتعالى، فاحذر ممن يصرح، وممن يأتي بهذه المقالة أو هذه العقيدة على وجه التمويه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **[وَآيَاتُ الصِّفَاتِ تَمُرُّ مَرًّا ** كَمَا جَاءَتْ عَلَى وَجْهِ الكَمَالِ].**

هنا يوضح طريقة أهل السنة وجادّتهم في الصفات أنهم يمرونها كما جاءت، ويؤمنون بها كما وردت، كما قال السلف في آيات الصفات: «أَمِرُّوها كما جاءت بلا كيف»، ومعنى إمرارها كما جاءت أي أن نؤمن بمعانيها، وما دلت؛ لأنها جاءت محملة بالمعاني، فنؤمن بما دلت عليه من معانٍ، ونثبت الصفات التي جاءت هذه الآيات وتلك الأحاديث متضمنة لها[1].

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَقَوْلُ رَبِيعَةَ وَمَالِكٍ: (الِاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ) مُوَافِقٌ لِقَوْلِ الْبَاقِينَ: (أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ بِلَا

المَتنُ

وَرُؤْيَـــا المُـــؤْمِنِينَ لَـــهُ تَعَـــالَى
عَيَانـــاً فِـــي القِيَامَـــةِ ذِي الجَـــلَالِ
يُـــرَى كَالبَـــدْرِ أَوْكَالشَّـــمْسِ صَـــحْواً
بِـــلَا غَـــيْمٍ وَلَا وَهْـــمٍ خَيَـــالِ

الشَّرْحُ

في هذا البيت يذكر عقيدة أهل الإيمان في الرؤية، وأن المؤمنين يرون الله سبحانه وتعالى، والرؤية حق دل عليها القرآن، ودلت عليها السنة:

فالقرآن في مثل قوله: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣ ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

والسنة في مثل حديث جَرِيرِ بن عبد الله قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِي ﷺ فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةً - يَعْنِي الْبَدْرَ - فَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا

كَيْفٍ) فَإِنَّمَا نَفَوْا عِلْمَ الْكَيْفِيَّةِ وَلَمْ يَنْفُوا حَقِيقَةَ الصِّفَةِ، وَلَوْ كَانَ الْقَوْمُ قَدْ آمَنُوا بِاللَّفْظِ الْمُجَرَّدِ مِنْ غَيْرِ فَهْمٍ لِمَعْنَاهُ - عَلَى مَا يَلِيقُ بِاللهِ - لَمَا قَالُوا: (الِاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ) وَلَمَا قَالُوا: (أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ بِلَا كَيْفٍ) فَإِنَّ الِاسْتِوَاءَ حِينَئِذٍ لَا يَكُونُ مَعْلُومًا بَلْ مَجْهُولًا بِمَنْزِلَةِ حُرُوفِ الْمُعْجَمِ.

وَأَيْضًا: فَإِنَّهُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى نَفْيِ عِلْمِ الْكَيْفِيَّةِ إِذَا لَمْ يُفْهَمْ عَنْ اللَّفْظِ مَعْنًى؛ وَإِنَّمَا يَحْتَاجُ إِلَى نَفْيِ عِلْمِ الْكَيْفِيَّةِ إِذَا أُثْبِتَتْ الصِّفَاتُ » «مجموع الفتاوى» (٥/ ٤١).

الْقَمَرَ لاَ تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا»(١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **[عَيَانًا]**: أي بأبصارهم حقيقة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **[فِي القِيَامَةِ]**: كما في الرواية الأخرى: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، وفي الحديث الآخر قال عليه الصلاة والسلام: «وَإِنَّكُمْ لَنْ تَرَوْا رَبَّكُمْ حَتَّى تَمُوتُوا»(٢).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **[يُرَى كَالبَدْرِ أَوْ كَالشَّمْسِ صَحْوًا ** بِلَا غَيْمٍ وَلَا وَهْمِ خَيَالِ]**.

أي رؤية حقيقة بالأبصار كما يرى الناس البدر أو الشمس صحوًا ليس بينهم وبينها سحاب.

وهذا فيه إشارة إلى ما جاء في الحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ أُنَاسٌ: يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ، لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟»، قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟»، قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: « فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ»(٣).

---

(١) رواه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣).

(٢) رواه النسائي في « السنن الكبرى» (٧٧١٦)، والطبراني في «مسند الشاميين» (١١٥٧)، وصححه الألباني في «الجامع الصغير» (٢٤٥٩).

(٣) رواه البخاري (٦٥٧٣)، ومسلم (١٨٢).

والتشبيه هنا للرؤية بالرؤية وليس للمرئي بالمرئي.

المَتنُ

وَمِيـــزَانُ الحِسَـــابِ كَـــذَاكَ حَقًّـــا
مَـــعَ الحَـــوْضِ المُطَهَّـــرِ كَـــالزُّلَالِ

الشَّرْحُ

وهذا أيضًا من جملة أمور الاعتقاد الإيمان بالميزان، ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، والميزان هو ميزان حقيقي ينصب يوم القيامة، له كفتان: كفة توضع فيها الحسنات، وكفة توضع فيها السيئات، ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [المؤمنون: ١٠١-١٠٣]، فالميزان حق نؤمن به، كما دل عليه كتاب ربنا وسنة نبينا عليه الصلاة والسلام.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [مَعَ الحَوْضِ المُطَهَّرِ كَالزُّلَالِ]: أي نؤمن أيضًا بالحوض المورود، وجاء وصفه في الحديث بأن طوله شهر، وعرضه شهر، وأن كيزانه عدد نجوم السماء، وأنه أحلى من العسل، وأن من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا، إلى غير ذلك من أوصاف الحوض

المورود، فنؤمن بالحوض وبجميع أوصافه الثابتة في السنة[١].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [كَالزُّلَالِ]: أي حلو، وجاء وصفه في السنة بأنه أحلى من العسل، أكرمنا الله أجمعين بالشرب من هذا الحوض المورود[٢].

المَتنُ

٦١/ وَمِعْـــرَاجُ الرَّسُـــولِ إِلَيْـــهِ حَـــقٌّ
بِـــــنَصٍّ وَارِدٍ لِلْشَّـــــكِ جَـــــالِ

---

(١) ومما جاء في صفة حوض النَّبِيِّ ﷺ قولُه: «حَوضِي مسيرة شهر، ماؤُه أبيضُ من اللَّبن، وريحُه أطيبُ من المسك، وكيزانُه كنجوم السماء، مَن شرب منها فلا يظمأ أبداً» رواه البخاري (٦٥٧٩) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ورواه مسلمٌ في «صحيحه» (٢٢٩٢) ولفظُه: «حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء، وماؤُه أبيضُ من الوَرِق، وريحُه أطيب من المسك، وكيزانُه كنجوم السماء، فمَن شرب منه فلا يظمأُ بعده أبداً».

وفي «صحيح مسلم» (٢٣٠٠) من حديث أبي ذر، وفيه:

«يشخبُ فيه ميزابان من الجنة، من شرب منه لَم يظمأ، عرضُه مثل طوله، ما بين عمَّان إلى أيلة، ماؤه أشدُّ بياضاً من اللَّبن، وأحلَى من العسل »، انظر «قطف الجنى الداني» (ص١٣٦) للشيخ العلامة عبد المحسن بن حمد العباد البدر حفظه الله.

(٢) يقول أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لقد تركت عجائز المدينة ما تصلي واحدة منهن صلاة إلا سألت ربها عَزَّ وَجَلَّ أن يوردها حوض محمد ﷺ» رواه ابن المبارك في الزهد (١٦٠٩)، وأحمد (٣/ ٢٣٠)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٦٩٨)، قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١١/ ٤٧٦): (وسنده صحيح)، وقال الألباني: (إسناده صحيح على شرط مسلم) «ظلال الجنة» (٢/ ٢).

الشَّرْحُ

وأيضًا من جملة أمور الاعتقاد الإيمان بالمعراج، وأن النبي ﷺ عُرج به إلى الله حقًا، وهذا أمر ثابت.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [بِنَصٍّ وَارِدٍ لِلْشَّكِ جَالِ]: أي نص صحيح ثابت لا يبقى معه شك في ثبوت أن النبي ﷺ عُرج به إلى السماء، كما جاءت بذلك الأحاديث الصحيحة في سنة النبي عليه الصلاة والسلام، وأنه ﷺ أُسري به إلى بيت المقدس، ثم عُرج به تلك الليلة إلى السماء كما ورد في الحديث أن النبي ﷺ قال: «فَحُمِلْتُ عَلَيْهِ، فَانْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَاسْتَفْتَحَ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَفَتَحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ، فَإِذَا فِيهَا آدَمُ، فَقَالَ: هَذَا أَبُوكَ آدَمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلاَمَ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالاِبْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِي الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَفَتَحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ، إِذَا يَحْيَى وَعِيسَى، وَهُمَا ابْنَا الْخَالَةِ قَالَ: هَذَا يَحْيَى وَعِيسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِمَا، فَسَلَّمْتُ فَرَدَّا، ثُمَّ قَالاَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِي الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ:

وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يُوسُفُ، قَالَ: هَذَا يُوسُفُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِي الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: أَوَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِلَى إِدْرِيسَ قَالَ: هَذَا إِدْرِيسُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِي الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الْخَامِسَةَ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا هَارُونُ قَالَ: هَذَا هَارُونُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِي الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ السَّادِسَةَ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ، فَإِذَا مُوسَى قَالَ: هَذَا مُوسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِي الصَّالِحِ، فَلَمَّا تَجَاوَزْتُ بَكَى، قِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ أَبْكِي لأَنَّ غُلاَمًا بُعِثَ بَعْدِي، يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرُ مَنْ يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِي، ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟

قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَلَمَّا خَلَصْتُ، فَإِذَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ: هَذَا أَبُوكَ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ.

قَالَ: فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ السَّلاَمَ، قَالَ: مَرْحَبًا بِالاِبْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِي الصَّالِحِ، ثُمَّ رُفِعَتْ لِي سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى، فَإِذَا نَبِقُهَا مِثْلُ قِلاَلِ هَجَرَ، وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الْفِيَلَةِ قَالَ: هَذِهِ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى، وَإِذَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ نَهْرَانِ بَاطِنَانِ، وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، فَقُلْتُ: مَا هَذَانِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: أَمَّا الْبَاطِنَانِ، فَنَهَرَانِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنِّيلُ وَالْفُرَاتُ، ثُمَّ رُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، ثُمَّ أُتِيتُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ وَإِنَاءٍ مِنْ عَسَلٍ، فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ هِي الْفِطْرَةُ أَنْتَ عَلَيْهَا وَأُمَّتُكَ، ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ الصَّلَوَاتُ خَمْسِينَ صَلاَةً كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ فَمَرَرْتُ عَلَى مُوسَى، فَقَالَ بِمَا أُمِرْتَ قَالَ أُمِرْتُ بِخَمْسِينَ صَلاَةً كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تَسْتَطِيعُ خَمْسِينَ صَلاَةً كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي وَاللهِ قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لأُمَّتِكَ، فَرَجَعْتُ، فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِعَشْرِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: بِمَا أُمِرْتَ؟ قُلْتُ: أُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ

تَسْتَطِيعُ خَمْسَ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لأُمَّتِكَ، قَالَ: سَأَلْتُ رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ، وَلَكِنْ أَرْضَى وَأُسَلِّمُ - قَالَ - فَلَمَّا جَاوَزْتُ نَادَى مُنَادٍ أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي»[1].

فهذا كله حق نؤمن به، لثبوته في الأحاديث الصحيحة عن الرسول الكريم صلوات الله وسلامه وبركاته عليه.

المَتنُ

كَـــذَاكَ الجِسْـــرُ يُنْصَـــبُ لِلْبَرَايَـــا
عَلَـــى مَـــتْنِ السَّـــعِيرِ بِـــلَا مُحَـــالِ
فَنَـــاجٍ سَـــالِمٍ مِـــنْ كُـــلِّ شَـــرٍّ
وَهَـــاوٍ هَالِـــكٍ لِلنَّـــارِ صَـــالِ

الشَّرْحُ

أي ومن وجملة ما يجب الإيمان به الإيمان بالجسر، وهو الصراط المستقيم الذي ينصب على متن جهنم يوم القيامة، وإلى هذا الجسر جاءت الإشارة في القرآن في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا

(١) رواه البخاري (٣٨٨٧)، ومسلم (١٦٢).

﴿٧٢﴾ [مريم: ٧١، ٧٢]، وجاء ذكر هذا الجسر وذكر أوصافه في السنة الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [كَذَاكَ الجِسْرُ يُنْصَبُ لِلْبَرَايَا ** عَلَى مَتْنِ السَّعِيرِ بِلَا مُحَالِ].

أي أنه ينصب يوم القيامة على متن جهنم، ثم يؤمر الناس بالمرور عليه، وهو أدق من الشعر وأحد من السيف.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [فَنَاجٍ سَالِمٍ مِنْ كُلِّ شَرٍّ]: قسم من المارين على الصراط تكون لهم السلامة والنجاة، أكرمنا الله سبحانه وتعالى أجمعين بأن نكون من الناجين السالمين في ذلك اليوم العصيب.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [وَهَاوٍ هَالِكٍ لِلنَّارِ صَالِ]: أي القسم الآخر تكون حالهم - والعياذ بالله - الهوي والسقوط في نار جهنم.

وقد جاء في الحديث: «قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا الْجَسْرُ؟ قَالَ: «مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ وَحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ، لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ تَكُونُ بِنَجْدٍ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ، الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا»[1]، فهذا كله حق، دلت عليه النصوص الصحيحة الثابتة.

---

(١) رواه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣).

ويقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «مشيهم على الصراط في السرعة والبطء بحسب سرعة سيرهم وبطئهم على صراط الله المستقيم في الدنيا، فأسرعهم سيرا هنا أسرعهم هناك، وأبطأهم هنا أبطأهم هناك، وأشدهم ثباتا على الصراط المستقيم هنا أثبتهم هناك، ومن خطفته كلاليب الشهوات والشبهات والبدع المضلة هنا خطفته الكلاليب التي كأنها شوك السعدان هناك، ويكون تأثير كلاليب الشهوات والشبهات والبدع فيه هاهنا فناج مسلم ومخدوش مسلم ومخردل أي مقطع بالكلاليب، مكردس في النار كما أثر فيهم تلك الكلاليب في الدنيا جزاء وفاقا، ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت: ٤٦]»[1].

المَتنُ

وَتُـــؤْمِنُ بِالقَضَـــا خَيْـــرًا وَشَـــرًّا
وَبِالمَقْـــدُورِ فِـــي كُـــلِّ الفِعَـــالِ
وَأَنَّ النَّـــارَ حَـــقٌّ قَـــدْ أُعِـــدَّتْ
لِأَعْـــدَاءِ الرَّسُـــولِ ذَوِي الضَّـــلَالِ
بِحِكْمَـــةِ رَبِّنَـــا عَـــدْلا وَعِلْمًـــا
بِـــأَحْوَالِ الخَلَائِـــقِ فِـــي المَـــآلِ

(١) «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص٣٨).

وَأَنَّ الجَنَّـــــةَ الفِـــــرْدَوْسَ حَـــــقٌّ
أُعِـــــدَّتْ لِلْهُـــــدَاةِ أُولِـــــي المَعَـــــالِ
بِفَضْـــــلٍ مِنْـــــهُ إِحْسَـــــانًا وَجُـــــودًا
وَتَكْرِيمًـــــا لَهُـــــمْ بَعْـــــدَ الوِصَـــــالِ

الشَّرْحُ

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [وَتُؤْمِنُ بِالقَضَا خَيْرًا وَشَرًّا ** وَبِالمَقْدُورِ فِي كُلِّ الفِعَالِ].

أي الإيمان بالقضاء والقدر، وأن الأمور كلها بقضاء الله سبحانه وتعالى وقدره، ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ [الأحزاب: ٣٨]، فتؤمن بالقضاء خيره وشره، حلوه ومره من الله تعالى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [فِي كُلِّ الفِعَالِ]: أي في كل ما يفعله العبد من طاعة ومعصية، كفر وإيمان، هداية وضلال، وغير ذلك، كل ذلك بقدر، فتؤمن بذلك، وأن الأمور كلها بقضاء الله سبحانه وتعالى وقدره، كما جاء في حديث جبريل عليه السلام: «وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»[1].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ قَدْ أُعِدَّتْ ** لِأَعْدَاءِ الرَّسُولِ ذَوِي الضَّلَالِ].

أي نؤمن أن النار مخلوقة وموجودة، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ

(١) رواه مسلم (٨).

ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ١٣١ ﴾ [آل عمران: ١٣١].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [بِحِكْمَةِ رَبِّنَا عَدْلا وَعِلْمًا ** بِأَحْوَالِ الخَلَائِقِ فِي المَآلِ].

ودخولهم للنار بحكمة ربنا، وعدلاً لأنّه لا يظلم أحدًا، وعلمًا منه سبحانه وتعالى بأحوال الخلائق في المآل، فأعد لأهل العصيان والكفر والتكذيب بأنبياء الله ورسله.. النار والعياذ بالله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [وَأَنَّ الجَنَّةَ الفِرْدَوْسَ حَقًّا ** أُعِدَّتْ لِلْهُدَاةِ أُولِي المَعَالِ].

أعدها الله سبحانه وتعالى لأولي الهداية والاستقامة، ومعالي الأمور.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [بِفَضْلٍ مِنْهُ إِحْسَانًا وَجُودًا ** وَتَكْرِيمًا لَهُمْ بَعْدَ الوِصَالِ].

أي بعد وصالهم بالمحافظة على طاعة ربهم وملازمة عبادته، وقد قال الله تعالى: ﴿ * وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

المَتنُ

وَكُـــلٌّ فِـــي المَقَـــابِرِ سَـــوْفَ يَلْقَـــى
بِـــــلَا شَـــــكٍّ هُنَالِـــــكَ لِلسُّـــــؤَالِ
نَكِيـــــرًا مُنْكَـــــرًا حَقًّـــــا بِهَـــــذَا
أَتَانَـــــا النَّقْـــــلُ عَـــــنْ صَـــــحْبٍ وَآلِ
وَأَعْمَـــــالاً تُقَارِنُـــــهُ فَإِمَّـــــا

بِخَيْـــرٍ قَارَنَـــتْ أَوْ سُـــوءِ حَـــالِ

الشَّرْحُ

في هذه الأبيات الثلاثة يتكلم رَحِمَهُ اللَّهُ عن أحوال الناس في القبور، ﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ﴾ [عبس: ٢١]، فنؤمن بأن الإنسان في المقابر حين يقبر سوف يلقى بلا شك هنالك للسؤال نكيرًا ومنكرًا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [..... ** بِلَا شَكٍّ هُنَالِكَ لِلسُّؤَالِ نَكِيرًا مُنْكَرًا.....**.....].

أي لا شك ولا ريب أنه سيلقى عندما يدخل ويدرج في القبر منكرًا ونكيرًا(١)، وهما ملكان يأتيان للعبد إذا أدرج في قبره، ويجلسانه، ويسألانه: من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ وسميا منكرًا ونكيرًا؛ لأنهما يأتيان على صورة منكرة غير معروفة وغير معهودة، فيأتيان بهذه الصورة، ويقال لهما: الفتَّانان.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [.....حَقًّا بِهَذَا ** أَتَانَا النَّقْلُ عَنْ صَحْبٍ وَآلِ].

يشير إلى أحاديث عديدة منها ما ثبت في «الصحيحين» عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِي ﷺ قَالَ: «الْعَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتُوُلِّي وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ

---

(١) هذان الملكان ورد ذكرهما في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ - أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ يُقَالُ لأَحَدِهِمَا الْمُنْكَرُ وَالآخَرُ النَّكِيرُ...» رواه الترمذي (١٠٧١)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (١٠٧١).

حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَأَقْعَدَاهُ فَيَقُولاَنِ: لَهُ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ، أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ - قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا - وَأَمَّا الْكَافِرُ - أَوِ الْمُنَافِقُ - فَيَقُولُ: لاَ أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ: لاَ دَرَيْتَ وَلاَ تَلَيْتَ، ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلاَّ الثَّقَلَيْنِ»[1]، والأحاديث في هذا المعنى عديدة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [وَأَعْمَالاً تُقَارِنُهُ فَإِمَّا ** بِخَيْرٍ قَارَنَتْ أَوْ سُوءِ حَالِ].

[وَأَعْمَالاً]: معطوفة على قوله: «نكيرًا ومنكرًا» أي يلقى نكيرًا ومنكرًا ويلقى أيضًا أعمالًا تقارنه، فإما بخير قارنت، أو سوء حال، أي أن أعمال الإنسان سيلقاها في قبره، وعمله الصالح يأتيه في قبره على صورة رجل صالح، وعمله السيء يأتي على صورة رجل سيء، ويكون مقارنًا للعبد، أي ملازمًا له في قبره، فأعمال الإنسان تأتيه في قبره، وتكون مقارنة له، وعمله الصالح نعم القرين، وعمل الإنسان السيء بئس القرين والعياذ بالله.

المَتنُ

فَيَـــا فَـــرْداً بِـــلَا ثَـــانٍ أَجِرْنِـــي

---

(١) رواه البخاري (١٣٣٨)، ومسلم (٢٨٧٠).

وَثَبِّتْنِـــــي بِعِـــــزِّكَ ذَا الجَـــــلَالِ
وَعَـــامِلْنِي بِعَفْـــوِكَ وَاغْـــنِ قَلْبِـــي
بِفَضْـــلِكَ عَـــنْ حَرَامِـــكَ بِـــالحَلَالِ
وَنَـــقِّ القَلْـــبَ مِـــنْ دَرَنِ الخَطَايَـــا
وَرِشْـــنِي مِـــنْ فَوَاضِـــلِكَ الجِـــزَالِ
وَلَاطِـــفْ بِاللَّطَـــائِفِ وَالعنَايَـــا
ضَـــعِيفًا فِـــي جَنَابِـــكَ ذَا اتِّكَـــالِ
وَجِمِّلْنِـــــي بِعَافِيَـــــةٍ وَعَفْـــــوٍ
فَـــإِنْ تَمْـــنُنْ بِعَفْـــوِكَ لَا أُبَـــالِ

الشَّرْحُ

هذه خاتمة لهذه المنظومة بهذه الدعوات العظيمات والمناجاة لله سبحانه وتعالى، والسؤال والإلحاح على الله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [فَيَا فَرْداً بِلَا ثَانٍ]: والفرد ليس من أسماء الله، ولكن يأتي في باب الإخبار عن الله سبحانه وتعالى، وهو بمعنى الأحد، وبمعنى الواحد.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [أَجِرْنِي]: أي أعذني وجنبني الأمور التي تسخطك، والأمور التي تفضي إلى غضبك، وحصول العقوبة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [وَثَبِّتْنِي بِعِزِّكَ ذَا الجَلَالِ]: أي ثبتني بالقول الثابت على

الحق والهدى، وفي الدعاء المأثور: عن شداد بن أوس قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا شداد بن أوس إذا رأيت الناس قد اكتنزوا الذهب والفضة فاكنز هؤلاء الكلمات: اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد، وأسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك قلبا سليما، ولسانا صادقا، وأسألك خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم؛ إنك أنت علام الغيوب»[(١)].

وجاء في القرآن قول الله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [وَعَامِلْنِي بِعَفْوِكَ]: أي مُنّ عليَّ يا رب العالمين بالعفو، وأكرمني بعفوك، فإني عبد مقصر ومذنب، ومفرط، أرجو منك يا ربي أن تعاملني بعفوك، بأن تغفر لي، وأن تتجاوز عني، وأن تصفح عن ذنوبي.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [..... وَأَغْنِ قَلْبِي ** بِفَضْلِكَ عَنْ حَرَامِكَ بِالحَلَالِ].

أي يسأل الله سبحانه وتعالى أن يغني قلبه بحلاله عن حرامه، وفي الدعاء المأثور: عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ مُكَاتَبًا جَاءَهُ فَقَالَ: إِنِّي قَدْ عَجَزْتُ عَنْ كِتَابَتِي، فَأَعِنِّي قَالَ: أَلاَ أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ عَلَّمَنِيهِنَّ رَسُولُ

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧١٣٥)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٢٢٨).

اللهِ ﷺ لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ جَبَلِ ثَبِيرٍ دَيْنـًا أَدَّاهُ اللهُ عَنْكَ قَالَ: قُلْ اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلاَلِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ»(١).

قوله رَحِمَهُ اللهُ: [وَنَقِّ القَلْبَ]:أي طهره وزكه.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: [مِنْ دَرَنِ الخَطَايَا]: أي وسخ الذنوب والآثام، فيسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن ينقي قلبه، وفي الدعاء المأثور: «اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلاَهَا»(٢).

قوله رَحِمَهُ اللهُ: [وَرِشْنِي مِنْ فَوَاضِلِكَ الجِزَالِ]: أي ألبسني واكسني من عطاياك ومننك الجزلة العظيمة.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: [وَرِشْنِي]: أي ألبسني، مأخوذ من الريش وهو اللباس، كما في قوله: ﴿لِبَاسًا يُوَارِى سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا﴾ [الأعراف: ٢٦].

قوله رَحِمَهُ اللهُ: [فَوَاضِلِكَ الجِزَالِ]: أي عطاياك ومننك العظيمة.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: [وَلَاطِفْ بِاللَّطَائِفِ وَالعنَايَا ** ضَعِيفـًا فِي جَنَابِكَ ذَا اتِّكَالِ].

أي عاملني يا رب بلطفك وأنت اللطيف.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: [وَالعنَايَا]: أي أكرمني بعنايتك - يا رب العالمين - بأن توفقني لما تحبه وترضاه من سديد الأقوال، وصحيح الأعمال، فإني عبد

(١) رواه الترمذي (٣٥٦٣)، وحسَّنه الألباني في «صحيح الترمذي» (٢٨٢٢).

(٢) رواه مسلم (٢٧٢٢).

ضعيف، وعبد مفرط، ولا غنى لي عنك طرفة عين، في الدعاء المأثور، عن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو فَلاَ تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ»[1].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [وَجِمِّلْنِي بِعَافِيَةٍ وَعَفْوٍ ** فَإِنْ تَمْنُنْ بِعَفْوِكَ لا أُبَالِ].

أي جملني وأكرمني ومُنَّ علي بالعفو والعافية، فإنَّك إن مننت عليَّ بعفوك لا أبالي بعد ذلك بالأمور الأخرى، وفي الدعاء المأثور: عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَعُ هَؤُلاَءِ الدَّعَوَاتِ حِينَ يُمْسِي وَحِينَ يُصْبِحُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ العَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ العَفْوَ وَالعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنَ يَدَيَّ، وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي»[2]، وهو من الأوراد التي يشرع للمسلم أن يأتي بها في الصباح والمساء.

المَتنُ

وَصَـــلَّى اللهُ مَـــا غَنَّـــتْ بِأَيْـــكٍ

عَلَـــى الأَغْصَـــانِ مِـــنْ طَلْـــحٍ وَضَـــالِ

---

(١) رواه أبو داود (٥٠٩٠)، وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٣٨٨).

(٢) رواه أبو داود (٥٠٧٤)، و ابن ماجه (٣٨٧١)، وصحَّحه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٣١٢١).

تُنَـــادِي دَائِمـــًا تَـــدْعُو هَـــدِيلاً
حَمَامَـــاتٌ عَلَـــى فَـــنَنٍ عَـــوَالِ
عَلَـــى المَعْصُـــومِ أَفْضَـــلِ كُـــلِّ خَلْـــقٍ
وَأَزْكَـــى الخَلْـــقِ مَـــعْ صَـــحْبٍ وَآلِ

الشَّرْحُ

هذا ختم لهذا النظم المبارك بالصلاة على النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه، وعلى الصحب والآل.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [بِأَيْكٍ]: الأيك هو الشجر الكثير الملتف، والواحدة منه أيكة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [طَلْحٍ]: الطلح شجر عظام.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [ضَالِ]: السدر البري.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [هَدِيلًا]: الهديل هو صوت الحمام.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [فَنَنٍ]: الفنن الغصن المتشعب.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [عَلَى فَنَنٍ عَوَالِ]: أي على أغصان متشعبة عالية رفيعة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [عَلَى المَعْصُومِ أَفْضَلِ كُلِّ خَلْقٍ]: فقد ورد في «الصحيحين» أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[1].

(١) رواه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: [وَأَزْكَى الخَلْقِ مَعْ صَحْبٍ وَآلِ]: أي صل عليه وعلى الصحب والآل.

وبهذا ختم رَحِمَهُ اللَّهُ هذا النظم الماتع النافع، والحمد لله أولًا وآخرًا، وله الشكر ظاهرًا وباطنًا، ونسأل الله جَلَّ جَلَالُهُ: أن يغفر للناظم، وأن يرحمه، وأن يجزيه خير الجزاء، وجميع علماء المسلمين، وأن يغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات.

وصلى الله وسلم، على عبده ورسوله نبينا محمد، وآله وصحبه أجمعين.

ISBN 978-9931-616-43-6
9789931616436